آداب قيادة السيارة
في ضوء القرآن الكريم

د. ممدوح بن تركي بن محمد القحطاني
أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد بكلية التربية بالدوادمي
- جامعة شقراء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حق حمده والصلاة والسلام على مصطفاه وعبده، نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

أما بعد: فإن الله عز وجل أنزل القرآن الكريم هدايةً للخلق في دينهم ودنياهم وآخرتهم، وهذا من أعظم المقاصد الكبرى التي جاء بها هذا الكتاب العزيز، ويكفي أن أول سورة من سُوَرِهِ اشتملت على طلب الهداية من الله بعد حمده والثناء عليه وإفراده بالعبادة والاستعانة به، وكذلك في افتتاح السورة التالية وهي سورة البقرة التي جاء فيها: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢﴾ البقرة: ٢، وفي آية أخرى من السورة نفسها قال الله تعالى: ﴿ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ﴾ البقرة: ١٨٥

وما أحوج الناس . والمسلمين خصوصًا . إلى الرجوع إلى كتاب ربهم لتلاوته والحكم به والاستماع إليه وتدبره ومعرفة أحكامه ووجوه إعجازه ودراسته والوقوف على أسراره وعجائبه التي لا تنقضي.

ومن أهم ما يلزم المسلم أن يستلهم التوجيه والهداية من آيات القرآن الكريم في كل ما يعرض لحياته مما يمس العقيدة أو الأخلاق والآداب وغيرها، وذلك مما يكشف عن وفاء القرآن بجميع حاجات البشر؛ لأنه كتاب الله الذي أودع فيها من الهداية والمعارف والحقائق ما يكفل صلاح البشر ويحقق لهم سعادتهم متى ما قاموا به.

وينبغي لكل جيل من البشر أن يأخذ من هداياته ما يناسب عصره ومجتمعه، وأن يستنبطوا طريقة القرآن في تثبيت دعائم الإيمان والأخلاق، ودوافع الخير وموانع الشر.

وإن الناظر لأحوال الناس في هذه الأزمان ليجد من بعضهم بُعْدًا عن منهج القرآن في التعامل مع الآخرين في شتى المجالات والمواقف.

وهذا البحث المختصر الذي بين يديك سأحاول فيه إبراز ما في القرآن من آيات جاءت قواعد وأخلاقياتٍ وهدايات ترشد إلى ضبط أخلاق الإنسان، وجعلتُ ذلك خاصا بحال قيادة الإنسان السيارة والأخلاقيات والآداب التي تضبط تعامله مع الآخرين في تلك الحال.

منهج البحث:

اقتضى موضوع البحث ألا أتوسع في ذكر خلاف المفسرين في تفسير الآيات، والترجيح بينها، وإنما أذكر ما يترجح من أن الآية الكريمة تشتمل على ما أذكره من معاني

تخص موضوع البحث، ولا أذكر القول الآخر الذي لا يفيد في الاستدلال بهذه الآية، معتمدا في ذلك على القواعد والأصول التي ذكرها أهل العلم في أصول تفسير القرآن الكريم.

ولم أتوسع بذكر ما في السنة النبوية . على صاحبها أتم الصلاة وأزكى التسليم . من أحاديث مفسرة لما في القرآن أو موافقة أو زائدة؛ لئلا يخرج البحث عن نطاقه، ولأن المقصود هنا ذكر ما جاء في القرآن من توجيهات وإن كانت السنة داخلة في عموم آداب القرآن لأن الله عز وجل قرن طاعته بطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم، وأخبرنا بوجوب أخذ ما جاءنا عن الرسول صلى الله عليه وسلم، فكل أدب جاء في السنة النبوية فهو مما أمر الله به في القرآن. قال الشافعي: " وسُنَنُ رسول الله مع كتاب الله وجهان: أحَدُهما: نص كتاب، فَاتَّبَعَه رسول الله كما أنزل الله، والآخر: جملة بَيَّنَ رسول الله فيه عن الله معنى ما أراد بالجملة، وأوضح كيف فرَضَها عامًّاً أو خاصاً، وكيف أراد أن يأتي به العباد، وكلاهما اتبع فيه كتاب الله"(١).

وقال الشاطبي:" السنة راجعة في معناها إلى الكتاب، فهي تفصيل مجمله، وبيان مشكله، وبسط مختصره؛ وذلك لأنها بيان له، فلا تجد في السنة أمرا إلا والقرآن قد دل على معناه، دلالة إجمالية أو تفصيلية"(٢).

وغالب الاستدلال بالآيات القرآنية هنا إنما هو من باب الاستنباط، وقد ذكر العلماء ضوابط هذا الاستدلال ووضعوا له شرائط، كقول ابن القيم . رحمه الله . في التفسير على الإشارة والقياس وأنه "لا بأس به بأربعة شرائط:

١. ألا يناقض معنى الآية.
٢. وأن يكون معنى صحيحا في نفسه.
٣. وأن يكون في اللفظ إشعار به.
٤. وأن يكون بينه وبين معنى الآية ارتباط وتلازم، فإذا اجتمعت هذه الأمور الأربعة كان استنباطا حسنا"(٣).

وقال الرازي قبله:" اعْلَمْ أَنَّ الْوُجُوهَ الْمَنْقُولَةَ عَنِ الْمُفَسِّرِينَ غَيْرُ مَنْقُولَةٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَصًّا، حَتَّى لَا يُمْكِنَ الزِّيَادَةُ عَلَيْهَا، بَلْ إِنَّمَا ذَكَرُوهَا لِكَوْنِ اللَّفْظِ

(١) "الرسالة" للإمام الشافعي ١/٩٠
(٢) "الموافقات" للشاطبي ٤/٣١٤
(٣) "التبيان في أقسام القرآن" لابن القيم ص٧٩

مُحْتَمِلًا لَهَا، فَإِذَا كَانَ احْتِمَالُ اللَّفْظِ لِمَا ذَكَرْنَاهُ لَيْسَ دُونَ احْتِمَالِهِ لِلْوُجُوهِ الَّتِي ذَكَرُوهَا لَمْ يَكُنْ مَا ذَكَرُوهُ أَوْلَى مِمَّا ذَكَرْنَاهُ إِلَّا أَنَّهُ لَا بُدَّ هَاهُنَا مِنْ دَقِيقَةٍ، وَهُوَ أَنَّ اللَّفْظَ مُحْتَمَلٌ لِلْكُلِّ..."(١)

وقد حرَصت قدر الإمكان الالتزام بهذه الضوابط وألا تكون مناقضة لأقوال السلف . رضي الله عنهم .، وقسمت البحث إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة، ورتبته على النحو الآتي:

المقدمة، وفيها الافتتاحية وذكر عنوان البحث وموضوعه.

التمهيد، وفيه أهمية الموضوع، ومنهج البحث، والدراسات السابقة.

المبحث الأول: بيان المقصود بالعنوان، وتحته مطلبان:

المطلب الأول: المقصود بالآداب والقيادة والسيارة، وتحته ثلاثة فروع:

الفرع الأول: المقصود بالآداب

الفرع الثاني: المقصود بالقيادة

الفرع الثالث: المقصود بالسيارة

المطلب الثاني: أهمية السيارة

المبحث الثاني: إحاطة القرآن الكريم بمصالح الناس في الدنيا والآخرة، وأهم أسباب مشكلة الإخلال بأدب القيادة، وتحته مطلبان:

المطلب الأول: إحاطة القرآن الكريم بمصالح الناس في الدنيا والآخرة

المطلب الثاني: أهم أسباب مشكلة الإخلال بأدب القيادة

المبحث الثالث: أخلاقيات قيادة السيارة في ضوء القرآن الكريم

وتحته ثلاثة مطالب:

المطلب الأول عناية القرآن الكريم بالأخلاق وتزكية النفوس.

المطلب الثاني: الآداب القرآنية التي تصاحب قائد السيارة.

المطلب الثالث: اجتناب السلوكيات والمخالفات والأخلاق السيئة.

الخاتمة.

وأسأل الله أن يجعلنا من أهل القرآن المتبعين له السائرين على منهاجه المغترفين من معينه العذب الصافي.

(١) "مفاتيح الغيب" للرازي ٣٢/٣١

التمهيد: أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

الذي دعاني إلى اختيار هذا الموضوع عدة أمور، من أهمها:

١. إبراز عموم هدايات القرآن الكريم، وشمول أحكامه لمصالح البشر وأخلاقهم وتعاملاتهم الدينية والدنيوية، والتأكيد على ربط الناس بهداياته والسير على منهاجه وآدابه.

٢. محاولة تنزيل الآيات القرآنية على واقع الناس اليومي، وذلك في حال قيادة سيارتهم، من أجل حصر الموضوع وجعله مثالا لغيره من السلوكيات التي ينبغي أن تتخِذ القرآنَ منهجًا وهاديًا، فيكون ذلك داعيا لهم على تدبر القرآن واستنباط الأحكام والآداب منه.

٣. أن هذا الموضوع يلازم كثيرا من الناس في يومهم وليلتهم وفي حضرهم وسفرهم، ولا يكاد يخلو أحد من قيادة السيارة أو ركوبها، فأصبحت قيادتها نمطا حياتيا مألوفا لا يكاد يستغني عنه أحد؛ فأحببت أن أبين الآيات القرآن التي هي بمثابة قواعد يدخل فيها جميع الأحوال التي تعرض لقائد السيارة أو راكبها.

٤. ما يترتب على الإخلال بآداب القيادة من مفاسد وأضرار كثيرة، وما حصل من انتشار للحوادث المؤدية إلى الوفاة أو الإعاقات الجسدية والعقلية أو المؤدية إلى أضرار في الأموال والممتلكات.

٥. ما لمسته من انبهار بعض الناس بما يشاهدونه من أحوال سكان بعض البلدان عند قيادتهم السيارة، والتزامهم بضوابط المرور والآداب العامة، فيرون أن ذلك دليل على تقدمتهم وتحضرهم، فأحببت أن أبين أن ذلك من ديننا وفي كتاب ربنا، بل عندنا ما هو أحسن وأقوم، ولكن المشكلة هي في قلة التطبيق والالتزام بالآداب الشرعية، والتفريط في تدبر القرآن واستخلاص الهدايات منه وجعله مَعِينًا تستقى منه الأخلاق والآداب.

ومما دعاني إلى ذلك أيضا ما لاحظته من استنكار بعض من تكلمت معه واستغرابه من أن يكون القرآن الكريم يضبط حتى أخلاق الإنسان في هذه الجزئية اليسيرة!.

٦. ما يذكره بعض الناس من أن قيادة الناس للسيارة وأحوالهم في الشوارع هي من أعظم المظاهر التي يميز فيها بين حضارة شعب ومدى رقيه وتقدمه وبين

تخلفه وانحطاطه، وهذا . وإن كان على إطلاقه . ليس مقياسا وحيدا إلا أنه ينبغي أن يؤخذ بالاعتبار.

٧. أن هذا الموضوع . وأشباهه . من أهم الموضوعات التي تربط الآيات القرآنية بحياة الناس اليومية وتسهل عليهم الاستدلال بها والاستشهاد، وتعلقهم بالآداب القرآنية والأوامر الشرعية، وتفتح أذهانهم لتدبر القرآن والعمل به، فالعمل بالقرآن واتباعه هو المقصود الأسمى من إنزاله، ولم أتكلم عن الأحكام القانونية المترتبة على مسألة قيادة السيارة، وما يترتب على المخالفات من عقوبات، فإن هذا له مجال آخر، وليس من مقاصد هذا البحث.

ولا شك أن كتاب الله عز وجل مليء بالآداب التي تضبط حياة البشر وتنظم شؤونهم ومعيشتهم لذلك أحببت حصر هذا البحث في هذا السلوك الجزئي – مع أن مخالفات الناس السلوكية كثيرة جدا – حتى لا يتشعب الموضوع كثيرا فيصعب حصره، وهو بمثابة ضرب المثال، ويمكن تعميمه على كثير من السلوكيات التي تواجه الناس في حياتهم اليومية والاستشهاد بآيات القرآن الكريم عليها، ولم أقصد حصر جميع المخالفات التي يقع فيها الناس ولا حصر جميع الأخلاق والآداب التي وردت في القرآن الكريم ويمكن تطبيقها على واقع الناس أثناء قيادة السيارة، وإنما ذكرت بعضا من ذلك حرصا على الاختصار والإشارة فقط.

الدراسات السابقة:

بعد الاطلاع والبحث لم أجد من تكلم عن هذه المشكلة الظاهرة في ضوء آيات القرآن الكريم، ولكن هناك مؤلفات تكلمت عن حوادث السيارات وعن أحكام الطريق من ناحية فقهية وقانونية، ولم تكن بحوثا موضوعية عن أحكام السيارة وآداب قيادتها على وجه الخصوص من خلال آيات القرآن الكريم، ومن هذه الدراسات على سبيل المثال:

١. ضمان السير في الفقه الإسلامي، للدكتور علي محمد العمري، بَيَّنَ فيه بعض الأحكام في تضمين سائقي المركبات[(١)].

٢. أحكام حوادث المرور في الشريعة الإسلامية، لمحمد بن علي القحطاني،

(١) منشور في مجلة "دراسات"، مج ٢٠، ١٩٩٣م، الأردن، ص ٣٦٧-٣٤٦

وهي خاصة بأحكام الحوادث المرورية[١].

٣. الطريق بين الأحكام الشرعية ومتطلبات السلامة المرورية، لمرزوق فتحي عيد حسين[٢]، تكلم عن أحكام الطريق من ناحية فقهية على وجه العموم.

وكل هذه الدراسات تتكلم عن بعض المسائل والأحكام المتعلقة بالسير أو الطريق، ولم تربط ذلك بالقرآن الكريم مباشرة، ولم تتكلم عن الآداب المستنبطة من القرآن الكريم على وجه الخصوص.

المبحث الأول:

بيان المقصود بالعنوان، وتحته مطلبان:

المطلب الأول: المقصود بالآداب والقيادة والسيارة، وتحته ثلاثة فروع:

الفرع الأول: المقصود بالآداب

الفرع الثاني: المقصود بالقيادة

الفرع الثالث: المقصود بالسيارة

المطلب الثاني: أهمية السيارة

الفرع الأول: المقصود بالآداب.

الآداب جمع أدب، من مادة أ د ب، قال في "مقاييس اللغة": "أصل واحد تتفرع مسائله وترجع إليه، فالأدب أن تجمع الناس إلى طعامك، وهي المأدَبة والمأدُبة، والآدب: الداعي"[٣].

وقال في "مجمل اللغة": " واشتقاق الأدب من ذلك، كأنه أمر قد أجمع عليه وعلى استحسانه"[٤].

فالأدب مصدر أدِب الرجل - بكسر الدال، وضمها لغة – إذا صار أديبا في خلق أو علم، وجمع أدب آداب كأَجَل وآجال[٥].

فالأصل مأخوذ من معنى حسي وهو جمع الناس إلى طعام، والآدِب هو صانع المأدبة أو

(١) رسالة ماجستير، من جامعة أم القرى بمكة المكرمة، عام ١٤٠٨هـ.

(٢) منشور في مجلة "دار الإفتاء المصرية، عام ٢٠١٣م، العدد ١٤، ص ٥٨-٩٠.

(٣) "مقاييس اللغة" لابن فارس ٧٤/١

(٤) "مجمل اللغة" لابن فارس ص٩١

(٥) "الفوائد المجموعة" لعبد الله الفوزان ص٢١

الداعي إليها، فهي تعبِّر عن خلق قويم بصورة حسية، ثم اكتسبت الكلمة مدلولا خُلُقيا يزاحم المعنى الحسي، ثم تطور هذا المعنى الخلقي إلى معنى تعليمي، حيث صار معنى الأدب هو تعليم الدين والأخلاق والمروءة وشمائل العرب، وبهذا المعنى اتخذ الأمراء وسراة القوم لأبنائهم من عرفوا بالمؤدبين، ثم أطلق على ما يلقنه هؤلاء المؤدبون للناشئة اسم الأدب، ومن هنا امتد مدلول كلمة أدب ليشمل أيضا الثقافة العامة التي يؤديها المؤدبون، ثم اتسعت في بعض استعمالاتها لتشكل كل المعارف تقريبا التي ترقى بالإنسان من ناحية الخلق والثقافة [١].

والمقصود بالأدب في هذا البحث هو الأدب الشرعي وهو: كل رياضة محمودة يتخرج بها الإنسان في فضيلة من الفضائل[٢]، ولخص تعريفه ابن القيم بقوله: استعمال الخلق الجميل[٣].

وقال ابن حجر: "والأدب استعمال ما يحمد قولا وفعلا وعبر بعضهم عنه بأنه الأخذ بمكارم الأخلاق وقيل الوقوف مع المستحسنات [٤].

الفرع الثاني: المقصود بالقيادة.

القيادة: مصدر قاد يقود قيادة، من مادة ق و د، قال في "مقاييس اللغة": أصل صحيح يدل على امتداد في الشيء، ويكون على وجه الأرض وفي الهواء، من ذلك القُودُ: جمع قوداء، وهي الناقة الطويلة العنق ...، ويفرع من هذا فيقال: قُدتُّ الفرسَ قودا، وذلك أن تمده إليك"[٥].

قال ابن سيده: "قاد الدَّابَّة قوداً، فَهِيَ مَقُودَة، واقتادها"[٦].

وجاء في المعجم الوسيط: "قاد الدَّابَّة قودا وقيادا وقيادة مَشى أمامها آخِذا بمقودها"[٧].

الفرع الثالث: المقصود بالسيارة:

السيارة: اسم مشتق، مادته س ي ر، وهي "أصل يدل على مُضِيٍّ وجريان، يقال سار

---

(١) انظر مقدمة الدكتور عبد الحميد هنداوي لكتاب "الكامل في اللغة والأدب" للمبرد ٦/١

(٢) "المصباح المنير" للفيومي ٩/١، نقله عن أبي زيد الأنصاري.

(٣) "مدارج السالكين" لابن القيم ٣٦١/٢

(٤) "فتح الباري" لابن حجر ٤٠٠/١٠

(٥) "مقاييس اللغة" لابن فارس ٣٩/٥

(٦) "المحكم والمحيط الأعظم" لابن سيده ٥٣٥/٦

(٧) المعجم الوسيط ص٧٩٣

يسير سيرا"[١]

وهي اسم آلة على وزن فَعَّالةٍ، وهذا وزن مُحدَث، لم يذكره السابقون على أنه من الأوزان القياسية، لكن أضافه جمع من الصرفيين المحدَثين وسلكوه في باب القياس بعد أن كثرت المخترعات الحديثة وصيغت على هذين الوزنين اعتمادا على وصف المبالغة في سرعتها[٢]، اعتمادا على أن "ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب"[٣].

والسيارة المقصودة هنا معروفة لا تخفى، ولكن لا بد من ذكر تعريف لها:

فقد جاء في "المعجم الوسيط": أن السيارة "عربة آلية سريعة السّير تسير بالبنزين وَنَحْوه، وتستخدم فِي الرّكُوب أَو النَّقْل"[٤]، "والسائق: من يقود السيارة أو القطار ونحوهما"[٥].

فيكون معنى قاد السيّارةَ ونحوَها أي ساقها وتولَّى توجيهها وقيادتها.

المطلب الثاني: أهمية السيارة

لا يخفى على أحد أهمية المركوبات في قديم الدهر وحديثه، وأقوال العلماء في أهميتها كثيرة، وقد ذكر العز بن عبد السلام أن من المصالح الدنيوية الناجزة للناس : المراكب، ففيها تحقق المصلحة للناس بنقلهم وحمل أثقالهم، وقسم المصالح إلى ثلاثة أقسام:

أخروية، ودنيوية، وما له مصلحتان.

وقَسَّمَ الدنيوية إلى ما هو ناجز الحصول كمصالح المراكب، وإلى ما هو متوقع الحصول كالاتِّجَار[٦]، فمصلحة المراكب ناجزة، والسيارة اليوم من أهم المراكب، ولا شك أنها أثرت تثيرا هائلا في أسلوب حياة الناس في معظم أنحاء العالم، وربما لم يحدث اختراع أو اكتشاف أو تقدم تقني أكثر تأثيرا في المجتمعات وأسرع من السيارة[٧]، ولا تزال إلى

(١) "مقاييس اللغة" لابن فارس ١٢٠/٣

(٢) "المستقصى في علم التصريف" للدكتور عبد اللطيف الخطيب ٥٥٤/٢

(٣) قالها أبو عثمان المازني في كتابه "التصريف"، انظر "المنصف في شرح كتاب التصريف" لابن جني ص١٨٠، و"الخصائص" لابن جني١/٣٥٨، و"الاقتراح في أصول النحو" للسيوطي ص٢١١

(٤) "المعجم الوسيط" ص٤٨٦

(٥) "المعجم الوسيط" ص٤٨٣

(٦) "قواعد الأحكام" للعز بن عبد السلام، ٤٣/١

(٧) الموسوعة العربية العالمية ٣٢٠/١٣

اليوم من أهم وسائل التنقل، على الرغم من وجود القطارات ثم الطائرات بعد ذلك، وهناك ما هو أسرع.

وكان اختراع السيارة حدثا عظيما عند البشر، ففي أواخر القرن الثامن عشر الميلادي تقدم تطور المحركات البخارية تقدما سريعا، وكان المخترعون يحلمون بعربة بلا حصان، أي مركبة يمكنها السير بقدراتها دون الحاجة إلى حيوانات تجرها مخلفةً وراءها الروث المبعثر على الطرقات، وما يُخَلِّفُهُ من روائح كريهة جالبة للذباب والحشرات الناقلة للأمراض، مع ما تحتاجه الحيوانات من رعاية وإطعام وعلاج وتنظيف ونحو ذلك[1].

وقد وفرت السيارة للناس حرية الحركة وسهولتها، وكانت أول أمرها مقتصرة على الأغنياء، أما الآن فلا يكاد يخلو بيت منها، بل لا يكاد يستغني عنها أحد.

ويحسن هنا أن أورد ما في القرآن من إشارات إلى نعمة المركوبات التي أنعمها الله على البشر، ومنها هذه السيارة، فمن ذلك:

أن السيارة تدخل في عموم قول الله تعالى: ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝٥ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۝٦ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝٧ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٨﴾ النحل: ٥ – ٨

قال ابن عاشور في "التحرير والتنوير": "الَّذِي يَظْهَرُ لِي أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ مِنْ مُعْجِزَاتِ الْقُرْآنِ الْغَيْبِيَّةِ الْعِلْمِيَّةِ، وَأَنَّهَا إِيمَاءٌ إِلَى أَنَّ اللَّهَ سَيُلْهِمُ الْبَشَرَ اخْتِرَاعَ مَرَاكِبَ هِيَ أَجْدَى عَلَيْهِمْ مِنَ الْخَيْلِ وَالْبِغَالِ وَالْحَمِيرِ، ... وَالسَّيَّارَاتُ الْمُسَيَّرَةُ بِمُصَفَّى النِّفْطِ ... مَخْلُوقَاتٌ نَشَأَتْ فِي عُصُورٍ مُتَتَابِعَةٍ لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُهَا مَنْ كَانُوا قَبْلَ عَصْرِ وُجُودِ كُلٍّ مِنْهَا.

وَإِلْهَامُ اللَّهِ النَّاسَ لِاخْتِرَاعِهَا هُوَ مُلْحَقٌ بِخَلْقِ اللَّهِ، فَاللَّهُ هُوَ الَّذِي أَلْهَمَ الْمُخْتَرِعِينَ مِنَ الْبَشَرِ بِمَا فَطَرَهُمْ عَلَيْهِ مِنَ الذَّكَاءِ وَالْعِلْمِ وَبِمَا تَدَرَّجُوا فِي سُلَّمِ الْحَضَارَةِ وَاقْتِبَاسِ بَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ إِلَى اخْتِرَاعِهَا، فَهِيَ بِذَلِكَ مَخْلُوقَةٌ لِلَّهِ تَعَالَى لِأَنَّ الْكُلَّ من نعْمَته"[2].

وقال الشنقيطي في "أضواء البيان": "ذكر ـ جل وعلا ـ في هذه الآية الكريمة أنه يخلق ما لا يعلم المخاطبون وقت نزولها، وأبهم ذلك الذي يخلقه لتعبيره عنه بالموصول[3]، ولم

(١) بتصرف من "الموسوعة العربية العالمية" ٣١٩/١٣، ٣٣٧

(٢) التحرير والتنوير ١١١/١٤

(٣) أي بالاسم الموصول وهو (ما) الموصولة.

يصرح هنا بشيء منه[1]، ولكن قرينة ذكر ذلك في معرض الامتنان بالمركوبات تدل على أن منه ما هو من المركوبات، وقد شوهد ذلك في إنعام الله على عباده بمركوبات لم تكن معلومة وقت نزول الآية، ...كالسيارات"[2].

والمركوبات مما مَنَّ الله به على بين آدم وكرمهم بها، قال الله تعالى: ﴿۞وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ٧٠﴾ الإسراء: ٧٠، فهو الذي هيأها لهم وسخرها، وأرشدهم إلى الاستفادة منها، وخلق فيهم العقول التي تؤهلهم لصنع مركوبات تحملهم في البر والبحر، ومما كرم الله به بني آدم أن خصهم بالعقل والعلم والأخلاق والسمو الروحي والترفع عن الدنايا والتنزه عن الأخلاق السيئة مما هو متعلق بهذه المركوبات وغيرها، وسيأتي الحديث عن شيء منها.

المبحث الثاني: إحاطة القرآن الكريم بمصالح الناس في الدنيا والآخرة، وأهم أسباب مشكلة الإخلال بآداب القيادة:

لقد ختم الله الرسالات التي أرسلها إلى البشر بدين الإسلام الذي هو خاتم الأديان السماوية، وهو الرسالة الخالدة الباقية إلى قيام الساعة، ولأجل ذلك كانت أحكامه شاملة لجميع ما يحتاج إليه البشر في دينهم ودنياهم وآخرتهم، والأدلة على ذلك كثيرة متضافرة في القرآن والسنة وآثار الصحابة، ويهمنا هنا أن نذكر بعض أصولها التي وردت في القرآن الكريم، ومن ذلك:

قول الله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ٥٩﴾ النساء: ٥٩، وقوله: ﴿شَيْءٍ﴾، نكرة في سياق الشرط، تفيد العموم، فالرد يشمل كل مسألة حادثة، ويُحتاج إلى معرفة حكمها.

وقال الله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ۚ﴾ الأنعام: ٣٨، قال ابن عباس رضي الله عنهما: (ما تركنا من شيء إلا وقد بيناه لكم)[3].

قال الجصاص: " يعني به – والله أعلم – تبيان كل شيء من أمور الدين بالنص

(١) أي لم يصرح بهذا الذي سيخلقه مما لا يعلمه الناس وقت نزول الآية.

(٢) ضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن" للأمين الشنقيطي ٣٣٥/٢

(٣) نسبه الواحدي إلى ابن عباس من طريق عطاء في "التفسير الوسيط" ٢٦٨/٢، ولم أجده بهذا اللفظ عند ابن جرير والتفاسير المسندة قبله.

والدلالة فما من حادثة جليلة ولا دقيقة إلا ولله فيها حكم قد بينه في الكتاب نصا أو دليلا؛ فما بينه النبي صلى الله عليه وسلم فإنما صدر عن الكتاب"(١).

وقال الواحدي: "وهذا من العام الذي أريد به الخاص، لأن المعنى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ بالعباد إليه حاجة إلا وقد بيناه، إما نصا، وإما دلالة، وإما مجملا، وإما مفصلا"(٢).

وقال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ النحل: ٨٩، قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: (أُنْزِلَ فِي هَذَا الْقُرْآنِ كُلُّ عِلْمٍ، وَكُلُّ شَيْءٍ قَدْ بُيِّنَ لَنَا فِي الْقُرْآنِ، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ)(٣).

وقال مسروق: "ما نسأل أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم عن شيء إلا علمه في القرآن، إلا أن علمنا يقصر عنه"(٤).

وقال الشافعي: "ليست تنزل بأحد من أهل دين الله نازلة إلا في كتاب الله الدليل على سبيل الهدى فيها"(٥).وقال ابن سعدي : "﴿تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ في أصول الدين وفروعه، وفي أحكام الدارين وكل ما يحتاج إليه العباد"(٦). وقال الشنقيطي: "لا شك أن القرآن فيه بيان كل شيء"(٧).

وقال ابن عثيمين: "ما من شيء يحتاج الناس إليه إلا وُجِدَ في القرآن ، لكن وجوده في القرآن: إما أن يكون على وجه صريح ، أو على وجه ظاهر ، أو على وجه الإيماء والإشارة ، أو على وجه الشمول والعموم ، أو على وجه اللزوم ، فالمهم أن القرآن مبين لكل شيء ، تارة يذكر الدليل على المسألة ، وتارة يذكر التوجيه إلى الدليل ... أما ما

(١) "أحكام القرآن" للجصاص ١٠/٥
(٢) التفسير الوسيط ٢٦٨/٢
(٣) أخرجه الطبري في "جامع البيان" ٣٣٤/١٤ ..
(٤) أخرجه زهير بن بن حرب في كتاب "العلم" الحديث رقم ٥٠
(٥) "الرسالة" للشافعي ص١٩
(٦) "تيسير الكريم الرحمن" لابن سعدي ص٤٤٦
(٧) "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن" للشنقيطي ٤٣٤/٢

ليس فيه مصلحة فإنه لا حاجة إلى ذكره"[١].

والآيات وأقوال السلف والمفسرين في هذا الشأن كثيرة، وإنما أردت الإشارة فقط.

ومن ذلك القانون الأخلاقي في القرآن الكريم الذي لم يدع صغيرة ولا كبيرة تتعلق بالسلوك الإنساني إلا رسم له منهجا يسير عليه، إما تفصيلا وإما إجمالا.

وأما أقوال المتأخرين من مستشرقين وغربيين ونحوهم مسلمين وكفارا عن القرآن الكريم وشموليته وهدايته فكثيرة، وسأذكر بعضا منها ؛ لأن شهادتهم تعني شيئا لكثير من الناس في هذه الأزمنة، نظرا لكثرة اختلاط المسلمين بغيرهم، وسهولة التواصل معهم وإلا فإن ديننا وكتابنا وسنة نبينا وأقوال سلفنا الصالح ليست محتاجة إلى شهاداتهم.

ومن ذلك ما قيل: إن القرآن الكريم هو "دستور المسلمين الديني والمدني والسياسي الناظم لسيرهم"[٢]، و"سجل للأخلاق"[٣]، و"أشد الكتب أثرا في الحياة اليومية لمن يؤمن به"[٤]، و"ما ترك شيئا في الدنيا إلا ولمسه وقدمه وقدم له"[٥]، و"لم يترك شاردة ولا واردة إلا جاء بها"[٦]، وهو "دستور إلهي فعلا، فهو يقنن الحياة بعيدا عن حياة الغاب"[٧]، و"يتنبأ بكل شيء، ويجد الحلول مقدما لجميع القضايا ويربط ما بين القانون الديني والقانون الأخلاقي ويسعى إلى خلق النظام والوحدة الاجتماعية وإلى تخفيف البؤس

---

(١) تفسير سورة يس لابن عثيمين ص٢٥٠

(٢) قاله الفيلسوف الفرنسي جوستاف لوبون [١٨٤١-١٩٣١] في كتابه "حضارة العرب" ص١٢١

(٣) قاله الفيلسوف الفرنسي ألكس لوازون، انظر "بالقرآن أسلم هؤلاء" لعبد العزيز سيد الغزاوي، دار القلم، ص٤٧، نقلا عن "عظمة القرآن" للدوسري ص١٣٦

(٤) قاله جيمس متشنز، انظر "القرآن الكريم من منظور غربي" لعماد الدين خليل ص١٨ نقلا عن "عظمة القرآن" ص١٣٨

(٥) قاله هاملتون جيب، انظر "علماء وحكماء من الغرب أنصفوا الإسلام" للحسيني الحسيني معدي، ص٥٦

(٦) قاله إدوارد هنرى بالمر [١٨٤٠-١٨٨٣] "علماء وحكماء من الغرب أنصفوا الإسلام" ص٥٦

(٧) قاله رينولد ألين نيكولسن [١٨٦٨-١٩٤٥] "علماء وحكماء من الغرب أنصفوا الإسلام" ص٥٨

والقسوة والخرافات... وفي مادة التشريع وَضَعَ قواعدَ لأدق التفاصيل للتعاون اليومي"[١].

وهو "كتاب تربية وتثقيف، وليس كل ما فيه كلاما عن الفرائض والشعائر، وإن الفضائل التي يحث عليها المسلمين من أجمل الفضائل وأرجحها في موازين الأخلاق"[٢]، وهو "الدستور الأساسي ليس لأصول الدين فقط بل للأحكام الجنائية والمدنية وللشرائع التي عليها مدار نظام حياة النوع الإنسان وترتيب شؤونه"[٣].

و"فيه قوانين زكية سنية بهية"[٤]، "وهو قانون شامل للقوانين المدنية والتجارية والحربية والقضائية والجنائية والجزائية ثم هو قانون ديني يدار على محوره كل أمر من الأمور الدينية إلى الأمور الدنيوية، ومن حفظ النفس إلى صحة الأبدان ومن حقوق الرعية إلى حقوق كل فرد ومن منفعة الإنسان الذاتية إلى منفعة الهيئة الاجتماعية..."[٥]

و"أصول الأخلاق في القرآن عالية علوا ما جاء في كتب الديانات الأخرى جميعها... إن أهم نتيجة يمكن استنباطها هي تأثير القرآن العظيم في الأمم التي أذعنت لإحكامه"[٦] .

و"رسالة القرآن تحل مشاكل اجتماعية وأخلاقية وفكرية"[٧]، و"هو كتاب دين وعلم واجتماع وخلق وتاريخ، والإسلام هو المدنية"[٨].

ولا شك أن القرآن هو المصدر الأساسي لدين الإسلام الذي "يتفق مع مدنية زماننا

---

(١) قاله الباحث الفرنسي جاك ريسلر، معاصر، في كتابه "الحضارة العربية" ص٥١.

(٢) قاله الدكتور سني فيشر، في كتابه "الشرق الأوسط في العصر الإسلامي" ذكر ذلك العقاد في كتابه "ما يقال عن الإسلام"، مكتبة دار العروبة، القاهرة، بدون تاريخ، ص٦٤.

(٣) قاله جيبون، كما نقله عنه المفكر الإنجليزي كويليام في كتابه "العقيدة الإسلامية" ص١٢٢.

(٤) قاله واشنطون إيرفنج، نقله عنه كويليام في المصدر السابق ص١٢٢

(٥) قاله المفكر الإنجليزي كويليام في كتابه "العقيدة الإسلامية" ص١٢٢

(٦) قاله غوستاف لوبون في كتابه "حضارة العرب" ص ٤٥٤.

(٧) قاله مونتجومري وات في كتابه "محمد في مكة" ص١٣٥، نقلا عن "علماء وحكماء من الغرب أنصفوا الإسلام" ص٥٤.

(٨) قاله المؤرخ الإنجليزي ويلز، انظر كتاب "الإسلام والمبادئ المستوردة" لعبد المنعم النمر ص٨٤

الحاضر تمام الاتفاق"[١]، "ويسير مع المدنية أنى سارت"[٢].

و"إن المسلمين إذا رجعوا إلى الأخلاق التي كانوا عليها حينما قاموا بدورهم الأول لا يستطيع هذا العالم الخاوي أن يقف أمام حضارتهم "[٣].

ولو تأملنا في الأحكام التي جاءت في القرآن والسنة لوجدنا أن كثيرا منها فيه دلالة على أهمية الانضباط والانتظام في العبادات والمعاملات والأخلاق التي حثنا عليها القرآن الكريم، ولا شك أنها تؤثر تأثيرا بالغا في حياة المسلم، وينعكس ذلك الأثر حتى على غير المسلمين، ويحضرني هنا قصة قائد الفرس قبل نشوب معركة القادسية التي انهزم فيها جيش الفرس لما رأى المسلمين عن بُعْدٍ وهم يصلون ويسجدون جماعة في ترتيب وانتظام ودقة، فقال: هذا عمر يُعَلِّمُ النظام[٤].

المبحث الأول: أهم أسباب مشكلة المخالفات أثناء قيادة السيارة:

لا يخفى أن معرفة أسباب أي مشكلة واقعة هو أقرب سبيل يساعدنا على إيجاد الحلول لها، ولو نظرنا إلى هذه المشكلة السلوكية لوجدنا أن الجهل هو من أعظم أسباب حدوثها، والجهل لها أنواع وشُعَبٌ، والمقصود بالجهل هنا الجهل بمعرفة الآداب التي حث عليها الشرع إما في القرآن أو في السنة أو في غيرهما من مصادر التشريع، ثم يتبع ذلك الجهل في معرفة الآداب العامة المتفق عليها بين الأمم، وكل ذلك ناشئ عن أسباب عدة تختلف باختلاف الزمان والمكان والأشخاص، ومن ذلك التفريط في اكتساب المعارف، وقلة المبالاة بها، وعدم تطلع النفس إلى الارتقاء في سلم الآداب والسلوكيات.

و"الجهل رأس الفضائح، ومعدن القبائح، ومضمار العِثار، ومعيار الشَّنَارِ، وسبب الخمول، ودليل التخلف، وداعية المقت، إن نطق صاحبه تعرَّض للخزي والذم، وإن تصرف صاحبه في حال سقط لليدين والفم، وهو دليل على غلظ الطبع وجمود الخاطر

(١) قاله المستشرق لوسين يوفا، نقلا عن "علماء وحكماء من الغرب أنصفوا الإسلام" ص٦٩.

(٢) قاله ويلز كما في كتاب "معالم تاريخ الإنسانية" نقلا عن "علماء وحكماء من الغرب أنصفوا الإسلام" ص٧٤.

(٣) قاله مرماديوك، نقلته بتصرف يسير من المرجع السابق ص٧١

(٤) "حضارة العرب" لجاك ريسلر ص٣٤

وفساد التركيب...وكفى بالجاهل تخلُّفًا أنه يهمل نفسه ولا يعرف من أين يستجلب النفع إليها."[1].

ومما يدل على أهمية اكتساب العلوم ورفع الجهل عن النفوس أن القرآن الكريم شنع على الجهل كثيرا، وحث على العلم والتعلم، بل إن أول الآيات التي أنزلت على النبي صلى الله عليه وسلم على الإطلاق تحث على القراءة والتعلم وتدعو إلى رفع الجهل، وهي قوله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥﴾ العلق: ١ – ٥.

وأي شرف للعلم أجل من هذا التشريف، لأن الله أسنده إلى نفسه، واستهل به كتابه، وجعله أول قطرة غيثه للناس، ثم كرره الحديث عنه في خمس آيات قصار، فيأمر بالقراءة مرتين، ويمتن بالعلم مرتين ويذكر القلم الذي هو أداة العلم في مختلف العصور، ثم يذكِّرُ الإنسان بنعمة رفع الجهل عنه بقوله: ﴿مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾، وقد اقترن ذلك كله بنعمة الخلق إيذانًا بأن العلم هو روح الوجود والحياة بعد الإحياء[2].

والآيات الحاثة على العلم والمثنية على العلماء والآيات والناعية على الجهل الذامة للجاهلين كثيرة جدا، يمكن البحث عنها في القرآن بهذا اللفظ وبالألفاظ القريبة كالمعرفة والإيمان والفقه والهدى والعقل والفكر والتدبر والتذكر والنظر والبصيرة وغيرها.

أما الألفاظ المقابلة للفظ العلم وما يليه فهي أيضا كثيرة جدا، ومنها: الجهل والسفه والضلال والعمه والظن الباطل والإفك وغيرها[3]، فموضوع العلم والجهل وآثارهما موضوع واسع في القرآن الكريم.

وإذا أرجعنا سبب الإخلال بآداب قيادة السيارة لوجدنا من أسباب نشأته وعلل وجوده الجهل، والمراد هنا الجهل بالعلم الشرعي والجهل المعرفي بالآداب والأخلاق العامة، ثم الجهل بأنظمة المرور وضوابط قيادة السيارة.

ومما يتفرع عن هذا السبب ترك العمل بالعمل، فهو يؤدي إلى النتيجة نفسها؛ لأن

(١) "الذخائر والأعلاق في آداب النفوس ومكارم الأخلاق" لأبي الحسن الإشبيلي ص١١٠، ص١١٩

(٢) "المدخل إلى التفسير الموضوعي" عبد الستار فتح الله سعيد ص١٩٣

(٣) "المدخل إلى التفسير الموضوعي" عبد الستار فتح الله سعيد ص١٩٠

الإخلال بهذه الآداب قد يقع فيه من يشار إليه بالبنان، مكانةً وجاهًا وعلمًا أيًّا كان هذا العلم؛ ومع ذلك لا تجد عنده عناية بهذه الآداب ولا الحرص عليها وعلى تطبيقها.

يقول ابن جماعة: "اعلم أن جميع ما ذكر من فضيلة العلم والعلماء إنما هو في حق العلماء العاملين الأبرار المتقين الذي قصدوا به وجه الله الكريم، والزلفى لديه في جنات النعيم، لا من طلبه لسوء نية، أو خبث طوية، أو لأغراض دنيوية، من جاه أو مال أو مكاثرة في الأتباع والطلاب"(١).

"وليس الغرض الحقيقي هو العلم نظريا بالقواعد، بل هو تطبيقها، ففيما يتعلق بالفضيلة لا يكفي أن يعلم ما هي، بل يلزم زيادةً على ذلك رياضة النفس على حيازتها واستعمالها"(٢)، و"الغاية القصوى من التعليم إنما هي اكتساب الفضائل، والتحلي بمكارم الأخلاق"(٣).

ويجب ألا نسكت عن تقصيرنا وألا نعلقه بغيرنا، فإن المعاصي وترك أوامر الله من أسباب الخذلان، وقد قال الله تعالى بعد هزيمة المسلمين في غزوة أحد: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾﴾ آل عمران: ١٦٥

قال ابن عاشور: " أي إن الله قدير على نصركم وعلى خذلانكم، فلما عصيتم وجررتم لأنفسكم الغضب قدر الله لكم الخذلان"(٤).

وفي هذه الآية رد على كل من يعلق تقصيرنا أو ما يحدث لنا من تأخر في جانب من جوانب الحياة الدنيوية يعلقه بالمؤامرات الخارجية، لا شك أن هناك مؤامرات وصراعًا وتنافسًا بين الأمم ولكن ذلك لا يعني أن نعلق على المؤامرة كل تقصير منا، يجب علينا أن ننظر فيما عندنا من تقصير وخلل فنصلحه ولا نلتفت إلى المخذلين أو الذين ليس لهم شأن إلا تثبيط المؤمنين وبث الهزيمة في نفوسهم،

(١) "تذكرة السامع والمتكلم" لابن جماعة ص٤٥

(٢) تأملات في فلسفة الأخلاق ص٦

(٣) قاله جان فردريك هربارت الألماني [١٧٧٢-١٨٤١]، المرجع السابق ص٣٣

(٤) التحرير والتنوير ١٦١/٤

وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ الكهف: ٢٨. قال الشيخ محمد الغزالي: "إن الجملة الأخيرة تدل على أن الأمر الفُرُط أو الوضع السائب أو المجتمع المحلول يجيء ثمرةَ غفلة القلب واتباع الهوى، سواء أكان ذلك في أحوال النفس أم في أخلاق الجماعة"(١).

وأهم أسباب الوقوع في الرذائل شيئان:

١. الأثرة أو التغالي في حب النفس.
٢. الجهل.

فالأثرة نوع من أنواع الضعف متأصل في الإنسان، فكل امرئ يتحزب لنفسه، ويفكر فيها أكثر مما يفكر في غيره، ويضحي بمصالح غيره وسعادتهم لمنفعته الشخصية هو ما نسميه الأثرة، وهي أصل كبير من أصول الشر، فلو بحثت عن أكثر ما يرتكب من الجرائم لوجدت أن سببها التغالي في حب النفس.

والسبب الثاني: الجهل، ومنه الجهل بأن الناس مثلنا، يحسون إحساسنا، لهم ما لنا وعليهم ما علينا(٢).

وهذا كله يجب أن يكون في عين الاعتبار ونجعله بين أيدينا في كل ما سيأتي في المبحث التالي من آداب قيادة السيارة والمخالفات التي يقع فيها كثير من الناس، فهي راجعة إلى هذين الشيئين.

وبداية التغيير تكون بأمور عِدَّة، منها:

١. أن تكون عزيمة التغيير ناشئة من النفس ذاتها، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ الرعد: ١١
٢. ثم مجاهدة النفس وقهرها على الخلق الحسن وتحمل المشاق من أجل الوصول بالنفس إلى عالي الرتب، وقد قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ العنكبوت: ٦٩

(١) "سر تأخر العرب والمسلمين"، تأليف محمد الغزالي، ١٢٢/١
(٢) انظر "الأخلاق" لمحمد أمين ص٨٧

وهذه الآية مكية[1]، ولم يكن حينئذ جهاد قتال للكفار، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((**المجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ**))[2]، ففي الآية الحث على مجاهدة النفس، وأن من توكل على الله وأحسن نيته وبذل الأسباب فإن الله سيهيده السبل ويسهلها عليه ويوفقه.

٣. التعرف على أخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم وسيرته وشمائله وكيف تعامل مع خلق الله، فهو المثل الأعلى، والأسوة الأحسن، قال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ الأحزاب: ٢١.

٤. النظر في أخلاق صحابته وأتباعهم بإحسان، والتعرف على سيرهم واتباع أخلاقهم الحسنة، والنظر في سير الصالحين من بعدهم.

٥. تدبر القرآن الكريم واستنباط الهدايات والأخلاق منه، وهذا هو المقصود من هذا البحث، وهو موضوع المبحث التالي.

---

(١) لأن سورة العنكبوت كلها مكية باتفاق المفسرين، إلا ما حكي عن ابن عباس رضي الله عنهما عن استثناء الآية الحادية عشرة، وباقي السورة يبقى على الأصل، انظر "المكي والمدني من السور والآيات" ص١٩٨.

(٢)أخرجه أحمد في "المسند" برقم (٢٣٩٥١) ٣٧٥/٣٩، والترمذي في سننه برقم (١٦٢١) واللفظ له، باب ما جاء في فضل من مات مرابطا، في أبواب فضائل الجهاد عن رسول الله صلى الله عيه وسلم، وقال: "حديث حسن صحيح" كلاهما عن فضالة بن عبيد رضي الله عنه، وصححه الأرناؤوط في تعليقه على المسند، والألباني في "السلسلة الصحيحة" برقم (٥٤٩) ٤٨/٢

المبحث الثالث: أخلاقيات قيادة السيارة في ضوء القرآن الكريم

المطلب الأول عناية القرآن الكريم بالأخلاق وتزكية النفوس:

إن العناية بالأخلاق الكريمة مقصد من أهم المقاصد القرآنية، ويدل على ذلك كثرة الآيات التي راعت هذا الجانب وأولته عناية كبرى، والله عز وجل قد جعل تزكية نفوس الناس مقصدا من أهم مقاصد بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم، وذلك في قوله عز وجل: ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ۝٢﴾ الجمعة: ٢.

بل جعل الله تزكية النفس وطهارتها من حكم التشريع، حين جعلها علة لتشريع بعض الأحكام، كما في أحكام الطلاق بقوله: ﴿ذَٰلِكُمۡ أَزۡكَىٰ لَكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ﴾ البقرة: ٢٣٢، وأحكام الاستئذان بقوله: ﴿هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡۚ﴾ النور: ٢٨، وأحكام النظر وغض البصر بقوله: ﴿ذَٰلِكَ أَزۡكَىٰ لَهُمۡۚ﴾ النور: ٣٠.

وقد أقسم الله ـ عز وجل ـ بجملة من مخلوقاته في أول سورة الشمس وجعل جواب القسم قوله: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩﴾ الشمس: ٩[(١)]، أي قَدْ أَفْلَحَ من زكى نفسه أي اكتسب الزكاء الذي قد خلقه الله، وزَكَّاها معناه: طهرها ونماها بالخيرات[(٢)].

وقد جاءت السنة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التسليم بنصوص كثيرة تحث على تزكية النفس والتزام الأخلاق الحسنة، ولو لم يرد إلا قول النبي صلى الله عليه وسلم : ((**إنما بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلَاقِ**))[(٣)] لكفى ذلك، قال ابن عبد البر: "ويدخل في هذا المعنى الصلاح والخير كُله، والدين والفضل والمروءة والإحسان والعدل، فبذلك بعث ليتممه"[(٤)].

---

(١) على قول جملة من المفسرين كابن عطية في "المحرر الوجيز" ٤٨٨/٥، وإلا فقد قيل إن الجواب محذوف، انظر "التحرير والتنوير" لابن عاشور ٣٧٠/٣٠

(٢) "المحرر الوجيز" لابن عطية ٤٨٨/٥

(٣) أخرجه أحمد في "المسند" برقم (٨٩٥٢)، ٥١٢/١٤، وصححه الأرناؤوط في تحقيقه للمسند، والبخاري في "الأدب المفرد" برقم (٢٧٣)، وصححه الألباني في "صحيح الأدب المفرد" ص١١٨، و"صحيح الجامع وزياداته" ٤٦٤/١، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) "التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد" لابن عبد البر ٣٣٤/٢٤

وجعل النبي صلى الله عليه وسلم ((**أَكمل المؤمنين إيمانا أحسنُهُم خُلُقًا**))[1]، وذم الفحش والتفحش فقال عليه الصلاة والسلام: ((**إيَّاكم والفُحْشَ، فإنَّ الله لا يحب الفاحِشَ والمتَفَحِّشَ**))[2].

والله عز وجل قد نهى عن البخل، ومن أعظم أنواع البخلِ البخلُ بالخلق الحسن، ومن أنواع الكرم بذل الخلق الحسن والعفو والمسامحة.

والأخلاق التي حث عليها القرآن كثيرة جدا، وإذا نظرنا إلى موضوعنا . وهو قيادة السيارة . وجدنا أن هذه الأخلاق تعم من قاد السيارة أو ركبها، وهي مشروعة مطلوب من قائد السيارة وراكبها أن يعمل بما ورد في القرآن الكريم وغيره منها.

ولو رجعنا إلى الواقع الذي نعيشه اليوم في كثير من بلداننا لوجدنا العجبَ في تعامل الناس مع بعضهم، خصوصا في الطرقات والشوارع، فإذا رأيتهم حسبتهم لا يطيقون بعضهم، بل يخيل إليك أحيانا أن الناس في معركة كلٌّ يريد الانتصار فيها، أو هاربين من عدو يطردهم، كُلٌّ يريد الخلاص منه، وتجد ذلك ظاهرا عند الإشارات المرورية والتقاطعات والأماكن المزدحمة، فنحن نحتاج حاجة ماسة إلى تصحيح هذه السلوكيات التي خَلَّفت وراءها أضرارا كثيرة.

وإن غرس القيم والأخلاق التي حث عليها القرآن الكريم أثناء قيادة السيارة وفي الطرقات ليُقَوِّي الاستهجان الاجتماعي لمن يقصر في ذلك، ويجعل الإنسان المقصر يخجل من تقصيره وخروجه عن الخلق السوي والنظام المنضبط.

---

(١) أخرجه أحمد في "المسند" برقم (٧٤٠٢) ٣٦٤/١٢، والترمذي في "سننه" برقم (١١٦٢) ٤٧٥/٢، باب ما جاء في حق المرأة على زوجها، وقال: "حديث حسن صحيح"، وأبو داود في سننه من طريق أحمد برقم (٤٦٨٢) ٢٢٠/٤، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وحسنه الأرناؤوط في تحقيقه على المسند، وصححه أحمد شاكر في تعليقه على المسند برقم (٧٣٩٦) ٢٠٨/٧، وصححه الألباني في "السلسلة الصحيحة" برقم (٢٨٤)، ٥٧٣/١

(٢) أخرجه أحمد في "المسند" برقم (٦٨٣٧)، ٤٢٩/١١، وصححه الأرناؤوط في تحقيقه، وصححه أحمد شاكر في تعليقه على المسند برقم (٦٤٨٧) ٤٢/٦، والألباني في "السلسلة الصحيحة" برقم (٨٥٨)٥١٤/٢

المطلب الثاني: الآداب القرآنية التي تصاحب قائد السيارة:

على قائد السيارة حقوق وواجبات وآداب يجب أن يلتزم بها ويستشعرها قبل استعماله للسيارة، وأثناء استعماله لها، منها ما يتعلق بعبادته لله عز وجل، ومنها ما يتعلق بنفسه وبتعامله مع الناس، ومنها ما يتعلق بالسيارة ذاتها، ومن جملة هذه الآداب:

الأدب الأول: استشعار نعمة الله بتيسيره هذه الآلة:

السيارة – بلا شك – من نعم الله عز وجل على التي أنعمها على خلقه، وسخرها ويسرها لهم، وخلق فيهم قدرة على صنعها واختراعها، وهي داخلة ضمن نعم الله التي لا تعد ولا تحصى، قال الله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ النحل: ١٨، قال الواحدي: "اسم أقيم مقام المصدر، ولذلك لم يجمع، ﴿لَا تُحْصُوهَآ﴾ أي: لا تأتوا على جميعها بالعدد لكثرتها"(١).

وقال ابن عطية: " لا تحصوها لكثرتها وعظمها في الحواس والقوى والإيجاد بعد العدم والهداية للإيمان وغير ذلك"(٢).

فعلى قائد السيارة أن يستشعر هذه النعمة ويحمد الله ويشكره عليها أن سخرها له ويسرها، فهي من جملة ما سخره الله لنا، قال الله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾﴾ الجاثية: ١٣

وحقيق بالعبد المسلم أن يجعل الحياة كلها لله، صلاته وعبادته ومحياه ومماته، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾ الأنعام: ١٦٢

وأمر الله عز وجل بالدخول في الإسلام كافةً فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِي ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾﴾ البقرة: ٢٠٨.

أي ادخلوا في جميع شرائع الدين، ولا تتركوا منها شيئا، ولا تكونوا ممن اتخذ إلهه هواه، إن وافق الأمر المشروع هواه فعله، وإن خالفه، تركه، بل الواجب أن يكون الهوى، تبعا للدين، وأن يفعل كل ما يقدر عليه، من أفعال الخير، وما يعجز عنه، يلتزمه وينويه، فيدركه بنيته(٣).

وقال ابن حجر: " إن الله خلقها للركوب والزينة، فمن استعملها في ذلك فعل ما

(١) التفسير الوسيط ٣/٣٢

(٢) "المحرر الوجيز" ٣/٣٤٠

(٣) "تيسير الكريم الرحمن" لابن سعدي ص٩٤

أبيح له، فإن اقترن بفعله قصد طاعة ارتقى إلى الندب أو قصد معصية حصل له الإثم"[١].

ومن استشعر نعم الله عليه ومنها تسخير هذه السيارة وجعل حياته كلها لله، قيامه وقعوده ومدخله ومخرجه وركوبه ونزوله والتزم التقوى في هذه الأحوال تيسرت أموره كلها؛ لأن هذه هي عاقبة التقوى، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢﴾ الطلاق: ٢، قال ابن عباس رضي الله عنهما: (نجاته من كل كرب في الدنيا والآخرة)[٢]، وقال الربيع بن خثيم: "من كل شيء ضاق على الناس"[٣].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ۝٤﴾ الطلاق: ٤، واسم الشرط (من) في الآتين من ألفاظ العموم[٤]، فكل من اتقى الله . عز وجل . حصل له المخرج واليسر، وكذلك قوله : ﴿مَخۡرَجٗا﴾ و﴿يُسۡرٗا﴾ نكرتان في سياق الشرط فتفيدان العموم[٥].

الأدب الثاني: التوكل على الله أثناء الخروج وركوب السيارة:

على من عزم الخروجَ وركوبَ السيارة أن يخرج متوكلا على ربه عز وجل الذي هيأ له ذلك ويسره له ﴿فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ۝١٥٩﴾ آل عمران: ١٥٩، ومن توكل على الله فإن الله سيكفيه ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥۚ﴾ الطلاق: ٣ أي كافيه، ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ۝٨١﴾ النساء: ٨١، بل جعل الله التوكل شرطا للإيمان، والمقصود هنا التوكل العام المطلق، قال الله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ۝٢٣﴾ المائدة: ٢٣

والتوكل: هو صدق اعتماد القلب على الله في استجلاب المصالح ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة[٦]، قال الجرجاني: "التوكل هو الثقة بما عند الله واليأس عما في أيدي

(١) فتح الباري لابن حجر ٦٤/٦
(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره ٤٣/٢٣
(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره ٤٤/٢٣
(٤) انظر "روضة الناظر" لابن قدامة ١٢/٢
(٥) انظر "القواعد والفوائد الأصولية" لابن اللحام، القاعدة (٥٦) ص٢٧٨
(٦) "جامع العلوم والحكم" لابن رجب ٤٩٧/٢

الناس"[1].

وهو من أعظم الأسباب التي يحصل بها المطلوب ويندفع بها المكروه، إذا بذل السبب بحسب قدرته، فمن أنكر الأسباب لم يستقم معه التوكل، ومن تمام التوكل عدم الركون إلى الأسباب[2].

ومظاهر التوكل في موضوعنا هذا كثيرة، فعلى سبيل المثال:

١. أن يقرأ دعاء الخروج من المنزل إذا أراد بأن يقول: ((**بِسْمِ اللَّهِ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، وَلاَ حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ**))، فيُقَالُ حِينَئِذٍ: هُدِيتَ، وَكُفِيتَ، وَوُقِيتَ، فَتَتَنَحَّى لَهُ الشَّيَاطِينُ، فَيَقُولُ لَهُ شَيْطَانٌ آخَرُ: كَيْفَ لَكَ بِرَجُلٍ قَدْ هُدِيَ وَكُفِيَ وَوُقِيَ؟[3]، وهناك أدعية أخرى وردت في السنة النبوية.

٢. أن يحرص على صيانة السيارة وتفقدها قبل قيادته لها، كسلامة الكوابح والإطارات والمحرك، والتأكد من سلامة الأضواء الأمامية والخلفية ومساحات الماء ونحو ذلك، وهو من بذل الأسباب التي هي من تمام التوكل، وألا يسير عليها وهي في حال لا يأمن على نفسه بقيادتها أو في حالٍ قد تسبب أضرارا لغيره فإن قيادته لها في هذه الحال ليست من التوكل في شيء.

٣. أن يحرص على استعمال وسائل السلامة كربط حزام الأمان، وجلوس الركاب في الأماكن المخصصة، وعلى سلامة الأطفال وذوي الاحتياجات الخاصة، ونحو ذلك من وسائل السلامة.

٤. ألا يقود السيارة وهو في حال تعب وإرهاق أو غلبة نوم، فإن غالب الحوادث سببها التفريط والتساهل في هذه الحال.

الأدب الثالث: قراءة أذكار ركوب السيارة:

ذكرت في الأدب الأول أنه يجب على العبد أن يتذكر نعم ربه، ومن هذه النعم هذه السيارة التي سخرها له، ومن ثَمَّ يستحب له أن يذكر الله تعالى بقراءة ما ورد أصلُه في قوله

---

(١) "التعريفات" للجرجاني ص٧٠

(٢) "مدارج السالكين" لابن القيم ١٢٠/٢

(٣) أخرجه أبو داود في سننه برقم (٥٠٩٥) باب ما يقول إذا خرج من بيته ٣٢٥/٤، والترمذي في سننه برقم (٣٤٢٦) باب ما يقول إذا خرج من بيته ٣٦٥/٥، كلاهما من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وصححه الألباني في "صحيح الترغيب والترهيب" ٢٦٥/٢.

تعالى: ﴿وَٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ الزخرف: ١٢ - ١٤

ففي هذه الآيات الحث على تذكر نعم الله التي أنعمها على الإنسان بتسخيره له مراكبَ في البر والبحر، و تنزيه الله عز وجل عما يصفه به المشركون وغيرهم ثم تذكر يوم القيامة الذي ينقلب فيه الناس إلى ربهم من بعد مماتهم.

وهذه الآية هي الأصل في قراءة هذا الذكر، وجاء في السنة تفصيل أكثر.

فيستحب له أن يقول: ((**بِسْمِ اللهِ وَالحَمْدُ للهِ** ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾﴾، **الحمدُ للهِ، الحمدُ للهِ، الحمدُ للهِ، اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ، سُبحانَكَ اللهُمَّ إِنِّي ظلمت نفسي فاغفر لي؛ فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت**))[1].

وورد أنه يستشعر تكريم الله له وتفضيله على كثير من خلقه ويتأول هذه الآية: ﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ الإسراء: ٧٠، فيقول: ((**بسم الله، الحمد لله الذي كرمنا وحملنا في البر والبحر ورزقنا من الطيبات وفضلنا على كثير ممن خلقه تفضيلا** ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ ثم يكبر ثلاثا ويقول: **اللهم اغفر لي إنه لا يغفر الذنوب غيرك**))[2].

فبداءة هذا الذكر بالبسملة له أصل في القرآن الكريم، والبسملة آية منه، بل وردت آية تشير إلى استحباب البداءة بالبسملة عند ركوب الدابة، ويلحق بها سائر المركوبات كالسيارة، كما حكاه الله تعالى عن نبيه نوح عليه السلام : ﴿۞ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا

(١) أخرجه أحمد في "مسنده" برقم (٧٥٣) ١٤٨/٢، والترمذي في سننه برقم (٣٤٤٦)، كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا ركب دابة، وقال: "حديث حسن صحيح"، من حديث علي رضي الله عنه، قال الأرناؤوط في تعليقه على المسند: "حسن لغيره"، وصححه الألباني في "التعليقات الحسان" ٣٣١/٤، وله ألفاظ أخرى.

(٢) أخرجه ابن حبان في "صحيحه"، انظره في "الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان" لابن بلبان برقم (٢٦٩٧)، وقال عنه شعيب الأرناؤوط: "إسناده حسن"، وصححه الألباني في "التعليقات الحسان" ٣٣١/٤.

﴿بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِيهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٤١﴾﴾ هود: ٤١، فاستحب بعض العلماء أن يقول عند ركوب السفينة: باسم الله مجراها ومرساها إن ربي لغفور رحيم[١]، قلت: ويقاس عليها السيارة لأنها مركوبة ووسيلة نقل.

ومما ورد من الأذكار هنا أن يقول إذا وصل إلى مقصده ونزل: ربِّ أنزلني منزلا مباركا وأنت خير المنزلين، كما حكاه الله تعالى عن نوح عليه السلام: ﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾﴾ المؤمنون: ٢٩ ، قال قتادة: " يُعَلِّمُكُمْ كَيْفَ تَقُولُونَ إِذَا رَكِبْتُمْ فِي الْفُلْكِ تَقُولُونَ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِيهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٤١﴾﴾ وَإِذَا رَكِبْتُمْ الْإِبِلَ قُلْتُمْ: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ ، وَيُعَلِّمُكُمْ مَا تَقُولُونَ إِذَا نَزَلْتُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ جَمِيعًا تَقُولُونَ: اللَّهُمَّ أَنْزِلْنَا ﴿مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾﴾ "[٢].

واختصره السيوطي في "الإكليل" عن قتادة: "علمكم الله كيف تقولون إذا ركبتم وإذا نزلتم"[٣].

وأجاز الأوزاعي الدعاء بهذا الدعاء عند النزول[٤]، قال القرطبي: "وبِالْجُمْلَةِ فَالْآيَةُ تَعْلِيمٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِعِبَادِهِ إِذَا رَكِبُوا وَإِذَا نَزَلُوا أَنْ يَقُولُوا هَذَا"[٥].

ويستحب إذا ركب سيارته وأراد السفر أن يقرأ دعاء السفر المشهور، فقد كَانَ النبي صلى الله عليه وسلم إِذَا اسْتَوَىَ عَلَىَ بَعِيرِهِ خَارِجاً إِلَىَ سَفَرٍ، كَبّرَ ثَلاَثاً، ثُمّ قَالَ: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾﴾، **اللّهُمّ إِنّا نَسْأَلُكَ فِي سَفَرِنَا هَذَا الْبِرّ وَالتّقْوَىَ**...)) إلى آخر الحديث المشهور[٦].

وقد أثنى الله . عز وجل . على أولي الألباب ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ آل عمران: ١٩١، فالقيام لركوب السيارة والقعود عليها داخل في هذه الآية.

---

(١) "الإكليل في استنباط التنزيل" للسيوطي ٨٥٧/٢

(٢) أخرجه ابن جرير ٥٥٨/٢٠

(٣) الإكليل في استنباط التنزيل ١٠٠٠/٣

(٤) مسائل حرب الكرماني برقم (٢٤٨) ص١٥٩، وانظر "المغني" لابن قدامة ١٦٠/١

(٥) "الجامع لأحكام القرآن" للقرطبي ١٢٠/١٢

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه برقم (٤٢٥)، ٩٧٨/٢، باب ما يقول إذا ركب إلى سفر الحج.

ومن حافظ على هذه الأذكار حفظه الله، فالله تعالى يحفظ من دعاه وطلب منه أن يحفظه: ﴿فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٦٤﴾ يوسف: ٦٤.

الأدب الرابع: السير المقتصد بلا سرعة زائدة ولا بطء مضر:

قال الله تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ٦٣﴾ الفرقان: ٦٣، قال ابن جرير: "بالحلم والسكينة والوقار، غير مستكبرين ولا متجبرين"(١)، فهذه الآية أصل في أن المشي في الأرض يكون متوسطا بلا إسراع زائد زيادةً مؤذيةً ومفسدةً ومعرضةً النفس للخطر، ولا بطءٍ زائد يعرقل حركة السير أو يسبب الأذى، فكل منهما ضرر.

ويمكن أن يستدل على ذم السرعة بقول الله عز وجل: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ﴾ النور: ٢١، مع قول النبي صلى الله عليه وسلم: ((**التأني من الله والعجلة من الشيطان**))(٢)، فالعجلة في قيادة السيارة خطوة من خطوات الشيطان التي نهينا عن تتبعها لما يترتب عليها من ضرر ومفسدة.

ومما جاء في هذا المعنى وصيةُ لقمان لابنه فيما حكاه الله عنه بقوله: ﴿وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ﴾ لقمان: ١٩، والاقتصاد في المشي هو السير الوسط بلا سرعة زائدة مؤذية ولا بطء متماوت يعطل حركة السير أو يضر من يأتي من خلف، فكل من الفعلين منهي عنه، والمطلوب هو ما بينهما من الاقتصاد في المشي، مع مراعاة السرعة المسموحة بها في كل طريق.

قال يزيد بن أبي حبيب في تفسير الاقتصاد في المشي: "يعني السرعة"(٣)، أي منهي عنها.

وقد فسر الاقتصاد في المشي أيضا بالتواضع وعدم التكبر والاختيالِ، قال مجاهد: "تواضع"(٤).

---

(١) تفسير ابن جرير ٤٨٩/١٧

(٢) أخرجه أبو يعلى في مسنده برقم (٤٢٥٦) ٢٤٧/٧ ، وقال الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (١٧٩٥) ٤٠٤/٤: "إسناده حسن، رجاله ثقات"، وله شاهد من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أخرجه الترمذي في سننه برقم (٢٠١٢) ٤٣٥/٣ ، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في التأني والعجلة

(٣) أخرجه ابن جرير ٥٦٣/١٨، وابن أبي حاتم برقم (١٧٥٥٠) ٣١٠٠/٩

(٤) أخرجه ابن جرير ٥٦٣/١٨، وابن أبي حاتم برقم (١٧٥٤٩) ٣٠٩٩/٩

وقال سعيد بن جبير في تفسير الآية: "لا تختل"(١)، وقال قتادة: " نهاه عن الخيلاء"(٢)، وقال ابن زيد: "التَّجَبُّرُ وَالتَّكَبُّرُ عَلَى النَّاسِ وَمُحَقِّرَتُهُمْ"(٣)

والإبطاء في المشي قد يكون من الخيلاء فينهى عنه أيضا(٤).

قال ابن سعدي: "امش متواضعا مستكينا، لا مَشْيَ البطر والتكبر، ولا مشي التماوت"(٥).

وقال الله تعالى حاكيا عن لقمان في وصيته لابنه: ﴿وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ١٨﴾ لقمان: ١٨، أي لا تمش وأنت مختال متكبر، قال الضحاك: لا تمش في الأرض بالخيلاء(٦).

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّكَ لَن تَخۡرِقَ ٱلۡأَرۡضَ وَلَن تَبۡلُغَ ٱلۡجِبَالَ طُولٗا ٣٧﴾ الإسراء: ٣٧، قال ابن سعدي: "﴿وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ﴾ أي: كبرا وتيها وبطرا متكبرا على الحق ومتعاظما على الخلق، ﴿إِنَّكَ﴾ في فعلك ذلك ﴿لَن تَخۡرِقَ ٱلۡأَرۡضَ وَلَن تَبۡلُغَ ٱلۡجِبَالَ طُولٗا ٣٧﴾ في تكبرك بل تكون حقيرا عند الله، ومحتقرا عند الخلق مبغوضا ممقوتا قد اكتسبت أشر الأخلاق واكتسيت أرذلها من غير إدراك لبعض ما تروم"(٧).

وكلام المفسرين من السلف ومن بعدهم في هذا كثير، وإنما ذكرت أدب التواضع وترك التكبر والخيلاء هنا لأنه قد ورد تفسير الاقتصاد في المشي بترك التكبر والخيلاء، وهذا الفعل يقع فيه كثير ممن يركب السيارات الفارهة ويتكبر على الناس ويختال عليهم فيدخل في عموم هذه الآيات.

الأدب الخامس: إلقاء السلام ورده:

من الآداب التي ينبغي مراعاتها أثناء قيادة السيارة أنه يشرع للمسلم إذا مر بأحد . سواء ماشيا أو راكبا . أن يسلم عليه بقدر ما يستطيع إن لم يكن هذا يلهيه عن النظر إلى

(١) أخرجه ابن أبي حاتم ٣١٠٠/٩
(٢) أخرجه ابن جرير ٥٦٢/١٨، وابن أبي حاتم برقم (١٧٥٥٢) ٣١٠٠/٩
(٣) أخرجه ابن جرير ١٨/ ٥٦١
(٤) "بحر العلوم" للسمرقندي ٢٣/٣
(٥) تيسير الكريم الرحمن ص٦٤٨
(٦) أخرجه ابن جرير ٥٦٢/١٨
(٧) تيسير الكريم الرحمن ص٤٥٧

طريقه، ويجب على المسلَّم عليه أن يرد السلام إذا سمعه أو رأى إشارته بالسلام لأن الله عز وجل يقول: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾﴾ النساء: ٨٦، والأصل في الأمر أنه للوجوب، ويكفي في الرد أن التلفظ به ولو لم يسمعك المسلِّم، وهو من سنن المرسلين، ومن الآداب التي أدبها الملائكة مع رسل الله الكرام [١].

واستدل كثير من العلماء بل نسبه بعضهم إلى الجمهور على مشروعية رد السلام على كل مسلِّمٍ مسلما كان أو كافرا، لكن يختلفان في صيغة الرد، وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما: (من سلم عليك من خلق الله فاردد عليه وإن كان مجوسيا؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾) [٢].

وقد ورد عن السلف أقوال في تفسير هذه الآية، وأن الرد بالأحسن خاص بالمسلمين والرد بالمثل يكون للكفار، قال ابن جرير: "وَأَوْلَى التَّأْوِيلَيْنِ بِتَأْوِيلِ الْآيَةِ قَوْلُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ فِي أَهْلِ الْإِسْلَامِ ، وَوَجَّهَ مَعْنَاهُ إِلَى أَنَّهُ يَرُدُّ السَّلَامَ عَلَى الْمُسْلِمِ إِذَا حَيَّاهُ تَحِيَّةً أَحْسَنَ مِنْ تَحِيَّتِهِ أَوْ مِثْلَهَا. وَذَلِكَ أَنَّ الصِّحَاحَ مِنَ الْآثَارِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ رَدَّ تَحِيَّةَ كُلِّ كَافِرٍ أَحْسَنَ مِنْ تَحِيَّتِهِ، وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ بِرَدِّ الْأَحْسَنِ؛ وَالْمِثْلِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ مِنْ غَيْرِ تَمْيِيزٍ مِنْهُ بَيْنَ الْمُسْتَوْجِبِ رَدَّ الْأَحْسَنِ مِنْ تَحِيَّتِهِ عَلَيْهِ وَالْمَرْدُودِ عَلَيْهِ مِثْلُهَا بِدَلَالَةٍ يُعْلَمُ بِهَا صِحَّةُ قَوْلِ مَنْ قَالَ: عَنَى بِرَدِّ الْأَحْسَنِ الْمُسْلِمَ ، وَبِرَدِّ الْمِثْلِ: أَهْلَ الْكُفْرِ"[٣].

أما ابتداء الكافر بالسلام فقد ورد النهي عنه في السنة، وهو قول جمهور العلماء[٤]، وإن كان بعض المفسرين استنبط من قول الله تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴿٥٥﴾﴾ القصص: ٥٥، جواز ابتداء الكفار بالسلام، وقال به أبو أمامة رضي الله عنه[٥]، كما

(١) على سبيل المثال سلام الملائكة على إبراهيم ورده عليهم [هود: ٦٩]
(٢) أخرجه ابن جرير ٢٧٥/٧، وانظر تفسير سورة الحجرات لابن عثيمين ص١٤٢ فقد رجح جواز الرد على الكفار بالمثل.
(٣) تفسير ابن جرير ٢٧٦/٧
(٤) "الآداب الشرعية والمنح المرعية" لابن مفلح ٣٦٥/١
(٥) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان برقم (٨٧٩٨) ٤٣٦/٦، عن أبي أمامة رضي الله عنه أنه كان يسلم على كل من لقيه. قال: فما علمت أحداً يسبقه بالسلام إلا يهودياً مرة اختبأ له خلف =

استدل محمد بن كعب القرظي[١] بقول الله تعالى: ﴿فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ وَقُلۡ سَلَٰمٞۚ﴾ الزخرف: ٨٩، وهذا كقول إبراهيم عليه السلام لأبيه فيما حكاه الله عنه : ﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ﴾.

فقد استدل بعض المفسرين بجواز السلام على الكافر[٢]، لكن هذا مبني على تفسير السلام هنا بالتحية، والصواب أن السلام هنا هو سلام الترك، قصد به المتاركة وهو قول جمهور المفسرين[٣]،قال ابن حجر: "وَحَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي النَّهْيِ عَنِ ابْتِدَائِهِمْ أَوْلَى، وَأَجَابَ عِيَاضٌ عَنِ الْآيَةِ وَكَذَا عَنْ قَوْلِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِأَبِيهِ بِأَنَّ الْقَصْدَ بِذَلِكَ الْمُتَارَكَةُ وَالْمُبَاعَدَةُ وَلَيْسَ الْقَصْدُ فِيهِمَا التَّحِيَّةَ"[٤].

وقال ابن عاشور: "والمقصود من السلام أنه سلام المتاركة المكنى بها عن الموادعة ألا نعود لمخاطبتكم"[٥]، مريم: ٤٧، فهو سلام متاركة.

وإن كان قد يستدل بقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلۡهُدَىٰٓ ٤٧﴾ طه: ٤٧ على جواز إلقاء السلام على الكفار إذا كان لحاجة، لأن النهي ورد لتوقيره، ولا توقير إذا كان لحاجة[٦]، قال الآلوسي: " واستدل به على منع السّلام على الكفار وإذا احتيج إليه في خطاب أو كتاب جيء بهذه الصيغة"[٧]، وقد ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يكتب إلى الملوك بهذا اللفظ بعد البسملة بهذا اللفظ المذكور في الآية في رسائله إلى الملوك، ولكن هذا مخصوص بهذه الصيغة لا أن يقول: السلام عليكم أو يزيد الرحمة والبركة.

=أسطوانة فخرج فسلم عليه، فقال له أبو أمامة: ويحك يا يهودي! ما حملك على ما صنعت؟ قال: رأيتك رجلاً تكثر السلام فعلمت أنه فضل فأحببت أن آخذ به، فقال أبو أمامة: ويحك! سمعت رسول الله صلي عليه وسلم يقول: ((**إن الله جعل السلام تحية لأمتنا، وأماناً لأهل ذمتنا**)). وضعفه الألباني في "سلسلة الأحاديث الضعيفة" برقم (٣٠٦٤) ٦٥/٧

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه برقم (٢٦٢٦٤)، ١٩٧/١٣

(٢) الجامع لأحكام القرآن" للقرطبي ١١٢/١١

(٣) الجامع لأحكام القرآن" للقرطبي ١١١/١١

(٤) فتح الباري لابن حجر ٤/١١

(٥) التحرير والتنوير ١٤٦/٢٠

(٦) "حاشية ابن عابدين" ٤١٢/٦

(٧) "روح المعاني" للآلوسي ٥١٢/٨، وانظر "الإكليل في استنباط التنزيل" للسيوطي ٩٥٢/٣

وهذا كله في الابتداء بلفظ السلام، أما التحية بغير السلام، كقول: صباح الخير أو مرحبا بالعربية أو بغيرها فهذا جائز[1]، ما لم يترتب عليه مفسدة، وجاء في فتاوى اللجنة الدائمة: "ولا بأس أن يقول للكافر ابتداء كيف حالك، كيف أصبحت، كيف أمسيت، ونحو ذلك إذا دعت الحاجة إلى ذلك، صرح بذلك جمع من أهل العلم منهم أبو العباس شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله"[2].

الأدب السادس: الشكر والإيثار:

ومن الآداب الفاضلة والأخلاق الحميدة التي تصاحب قائد السيارة أن يكون شاكرا، رادا للجميل، فهذه المنزلة من أعظم صفات المؤمنين، وينبغي أن تصاحبه في كثير من المواطن، ومما يعني قائد السيارة هنا أن يحرص على بذل الشكر للناس، فإن فَسح له أحد في الطريق كي يسهِّلَ له التجاوز، أو كان في شارع ضيق أو موقف للسيارات فانتظر حتى يخرج بسيارته أو تقدم أو تأخر ليفسح له المجال، أو كان عند تقاطع فقدمه على نفسه أو فعل شيئا مما يشابه ذلك فهو يستحق الشكر، لأن الله عز وجل أمر بذلك وقال: ﴿وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ الزمر: ٦٦ أي لله، ومن شكر الله شكر الناس، وأخبر بأنه سيجزي الشاكرين[3]، وهذا أمر بالشكر عام، فإذا جمعنا بينها وبين قول النبي صلى الله عليه وسلم : ((**من لم يشكر الناس لم يشكر الله**))[4] تبين استحباب انتشار هذه الخصلة النبيلة.

وفي مقابل ذلك يستحب لقائد السيارة أن يفسح لغيره في الطريق وأن يؤثره على نفسه ما لم يكن عليه ضرر، أو ما لم تترجح حال تقتضي ضد ذلك، قال الله تعالى واصفا أفعال

---

(١) صحيح البخاري برقم (٧) ٨/١، وصحيح مسلم برقم (١٧٧٣) ١٣٩٣/٣

(٢) "فتاوى اللجنة الدائمة" ٤٣٥/٣، رقم الفتوى (١١١٢٣).

(٣) آل عمران: ١٥٤

(٤) أخرجه أحمد في مسنده برقم ٧٥٠٤، ٤٧٢/١٢، وأبو داود برقم (٤٨١١) ٢٥٥/٤، باب في شكر المعروف، والترمذي في سننه، ، برقم (١٩٥٤) ٤٠٣/٣ باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك، وقال: حسن صحيح، وصحح الأرناؤوط في تعليقه على المسند، وصحح الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٤١٦) ٧٧٦/١

الصحابة الأنصار مثنيا عليهم: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ الحشر: ٩، قال السيوطي: "فيه مدح الإيثار في حظوظ النفس والدنيا"(١).

وهذه الآية عامة لا يجوز تخصيصها إلا بدليل، فقد جاءت في سياق الثناء على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من الأنصار لما قدم المهاجرون إلى المدينة حينما ضربوا أروع الأمثلة في الإيثار وترك حظوظ النفس، فيدخل في هذه الآية كل من آثر على نفسه أخاه وقدمه عليه، ولو فعل الناس هذا أو بعضا منه في الطرقات اليوم لاختفت كثير من المشاجرات والملاسنات التي تقع بين الناس في مثل هذه المواقف، والله المستعان.

وعلى سبيل العموم يجب على العبد أن يلتزم بالأخلاق الحسنة وأن يترفع عن الدنايا ويبتعد عن الألفاظ السيئة والأفعال القبيحة كلها، وكل ما في السنة من آداب نبوية فهي داخلة في عموم قول الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ الأحزاب: ٢١، فقد أمرنا الله عز وجل بالائتساء بالنبي صلى الله عليه وسلم الذي عنه ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ القلم: ٤، و(كان خلقه القرآنَ)(٢)، و(لم يكن فاحشا ولا متفحشا)(٣).

قال عطية العوفي:" على أدب القرآن"(٤)، وقال ابن جرير في تفسير الآية: "وإنك يا محمد لعلى أدب عظيم، وذلك أدب القرآن الذي أدبه الله به، وهو الإسلام وشرائعه"(٥).

الأدب السابع: مساعدة المحتاجين ونجدتهم:

قد تجد في طريقك وأنت تيسير أناسا قد انقطعت بهم السبل أو تعطلت سيارتهم فيستحب لك أن تساعدهم وتنجدهم، وقد يجب ذلك إذا خُشِي عليهم الهلاك، وكذلك يستحق كبار وذوي الاحتياجات مساعدة خاصة، فهؤلاء لهم حقوق زائدة على غيرهم، وهذا كله من التعاون على البر والتقوى الذي أمر الله به، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ

(١) الإكليل في استنباط التنزيل ١٢٤٣/٣

(٢) أخرجه مسلم برقم (٧٤٦) ٥١٢/١ باب جامع صلاة الليل، ومن نام عنه أو مرض.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٥٩٥) ١٨٩/٤ باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم ، ومسلم برقم (٢٣٢١) باب كثرة حيائه صلى الله عليه وسلم، كلاهما عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٤) أخرجه ابن جرير ١٥٢/٢٣، والبيهقي في "دلائل النبوة" ٣١٠/١.

(٥) تفسير ابن جرير ١٤٩/٢٣

﴿وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢﴾ المائدة: ٢

وتدخل مساعدتهم في أنواع الإحسان، ويدل على ذلك عموم قول الله تعالى: ﴿وَأَحۡسِنُوٓاْۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٩٥﴾ البقرة: ١٩٥، وأخبر الله أنه يضيع عمل المحسنين ولا أجرهم فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٢٠﴾ التوبة: ١٢٠

وقال ابن القيِّم: "مفتاح حصول الرَّحمة الإحْسَان في عبادة الخالق، والسَّعي في نفع عبيده"(١).

وقال أيضًا: "فإنَّ الإحْسَان يفرح القلب ويشرح الصَّدر ويجلب النِّعم ويدفع النِّقم، وتركه يوجب الضَّيم والضِّيق، ويمنع وصول النِّعم إليه، فالجبن: ترك الإحْسَان بالبدن، والبخل: ترك الإحْسَان بالمال"(٢)، والأحاديث والآثار في فضل ذلك كثيرة.

الأدب الثامن: الصبر وتحمل الأذى والصفح والإعراض:

على قائد السيارة وراكبها أن يعلم أنه سيخالط الناس وسيتعرض لمواقف كثيرة قد لا تعجبه فعليه هنا أن يوطن نفسه على الصبر وحبس النفس وتحمل أذى الآخرين الذين يخطؤون عليه في الشارع بأي نوع من أنواع الخطأ احتسابا للأجر ورغبة فيما عند الله؛ وذلك لما في الصبر من أجر عظيم، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ١٠﴾ الزمر: ١٠.

ومن أمثلة ذلك أن يوطن نفسه على كل ما يصيبه من حوادث أو خلل في سيارته أو نحو ذلك، وعليه أن يكظم غيظه قدر ما يستطيع، وأن يعفو ويصفح عن المسيئين، فقد ذكر الله صفات المتقين وعدَّ منها كظمهم للغيظ فقال: ﴿وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ آل عمران: ١٣٤ ، وقال تعالى: ﴿وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ١٩٩﴾ الأعراف: ١٩٩، وهذا المواقف التي سيتعرض لها تُعَدُّ من الابتلاء الذي يُختبر فيه المؤمن، هل ينال أجر الصابر الكاظم الغيظ المعرض عن الجاهلين أو لا؟ ولا يمكن أن ينال أحد درجة الصابرين إلا إذا تعرض للاختبار والبلاء كهذه المواقف التي تستدعي منه كبح النفس وترك الانتصار لها.

(١) "حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح" ص٦٩

(٢) "طريق الهجرتين" لابن القيم ص٢٧٩

وعلى راكب السيارة أن يكون ممن قال الله فيهم: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴿٥٥﴾﴾ القصص: ٥٥.

والله . عز وجل . قد مدح أنبياءه إبراهيم وإسماعيل بالحلم، وأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يقتدي بهُدَى الأنبياء، وأمرنا أن نقتدي به.

وليعتبر بقصص الأنبياء مع أقوامهم كهود عليه السلام حينما وصفوه بالسفه والكذب فرد عليه بكل حلم قال الله تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٧﴾﴾ الأعراف: ٦٦ – ٦٧

هذا نبي من أنبياء الله اتُّهم بالسفاهة والكذب فكان رده ليس بي سفاهة! ولم يقابل ذلك بسوء ولا مكافئة.

فإن أخطأ عليه أحد في الطريق فإنه يستحب له أن يعفو ويصلح كما قال تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ الشورى: ٤٠، وقال تعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ النور: ، ٢٢، ولكن إذا كان متهورا أو متساهلا أو متعمدا أو يخشى من تفريطه فإنه يستحق العقوبة حتى يرتدع، ولأجل ذلك شرعت العقوبات.

وهذا الأمر يختلف باختلاف الصور والأحوال، إلا أن الأصل العفو والإصلاح هو الأولى، فيستحب له أن يصالح الطرف الآخر لأن الله تعالى يقول: ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ النساء: ١٢٨، وهذا اللفظ عام في كل صلح(١)، قال ابن عطية: "لفظ عام مطلق، يقتضي أن الصلح الحقيقي الذي تسكن إليه النفوس ويزول به الخلاف خير على الإطلاق"(٢).

وقال عز وجل يقول: ﴿وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ الأنفال: ١، قال السدي: "ألا تستبوا"(٣).

ففي هذه الآيات ونحوها حث على اجتناب سفاسف الأمور وألا يقابل السيئة بمثلها، خصوصا إذا كان المخطئ عليك جاهلا أو كبيرا في السن أو جديدا على البلد فهذا يستدعي منك التحمل والصبر والحلم والعفو رجاء رضوان الله.

---

(١) "الإكليل في استنباط التنزيل" للسيوطي ٥٩٢/٢

(٢) "المحرر الوجيز" لابن عطية ١٢٠/٢

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره برقم (٨٦١).

ومن ذلك أن يبتعد عن كل لفظ وفعل بذيء، وأن يدفع السيئة إذا أخطأ عليه أحد، قال الله تعالى: ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ المؤمنون: ٩٦

قَالَ ابن عباس رضي الله عنهما: «أَمَرَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ بِالصَّبْرِ عِنْدَ الْغَضَبِ، وَالْحِلْمِ وَالْعَفْوِ عِنْدَ الْإِسَاءَةِ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمَهُمُ اللَّهُ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَخَضَعَ لَهُمْ عَدُوُّهُمْ، كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ»(١)

وفسر مجاهد(٢) وعطاء(٣) هذه الآية بالسلام، بأن تسلم عليه إذا لقيته، وقال ابن العربي: "فقه الآية: اسلك مسلك الكرام، ولا تلحظ جانب المكافأة؛ ادفع بغير عوض، ولا تسلك مسلك المبايعة، ويدخل فيه: سلم على من يسلم عليك"(٤).

وقال ابن عاشور: " التَّخَلُّقُ بِهَذِهِ الْآيَةِ هُوَ أَنَّ الْمُؤْمِنَ الْكَامِلَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُفَوِّضَ أَمْرَ الْمُعْتَدِينَ عَلَيْهِ إِلَى اللَّهِ فَهُوَ يَتَوَلَّى الِانْتِصَارَ لِمَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ وَأَنَّهُ إِنْ قَابَلَ السَّيِّئَةَ بِالْحَسَنَةِ كَانَ انْتِصَارُ اللَّهِ أَشْفَى لِصَدْرِهِ وَأَرْسَخَ فِي نَصْرِهِ، وَمَاذَا تَبْلُغُ قُدْرَةُ الْمَخْلُوقِ تِجَاهَ قُدْرَةِ الْخَالِقِ، وَهُوَ الَّذِي هَزَمَ الْأَحْزَابَ بِلَا جُيُوشٍ وَلَا فَيَالِقَ"(٥).

ومما يدخل في ذلك أن يلتزم القول الحسن والألفاظ اللطيفة، قال الله تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٗا مُّبِينٗا﴾ الإسراء: ٥٣، وقال: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا﴾ البقرة: ٨٣، والالتزام بالقول الحسن يكون في هيئته بأن يكون لطيفا لينا ليس غليظا ولا شديدا، ويكون في معناه بأن يكون قولا خَيِّرًا(٦).

والله عز وجل قد حث على لين القول ومدح النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الصفة وقال: ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡ﴾ آل عمران: ١٥٩ ، ونحن مأمورون باتباع هديه وخلقه

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره ٤٣٢/٢٠
(٢) أخرجه ابن جرير ٤٣٣/٢٠
(٣) أخرجه ابن جرير ٤٣٣/٢٠
(٤) "أحكام القرآن" لابن العربي ٣٣٠/٣
(٥) التحرير والتنوير ١٢٠/١٨
(٦) "تفسير سورتي الفاتحة والبقرة" لابن عثيمين ٢٦٨/١

عليه الصلاة والسلام، قال السيوطي: في هذه الآية "الحث على اللين في القول والمداراة"(١).

وإذا كان الله عز وجل قد أمر موسى وهارون بأن يلينا القول للطاغية فرعون فكيف بغيره ممن هو دونه إذا لم يكن منه تعَدٍّ أو ظلم؛ قال تعالى: ﴿ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝٤٣ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ۝٤٤﴾ طه: ٤٣ - ٤٤

قارن هذا بمن يتلفظ بالألفاظ البذيئة عندما يخطئ عليه أحد في الطريق، أو عندما يتأخر مَن أمامه قليلا بعد فتح الإشارة!، أو يسب ويشتم لأن الذي أمامه لم يفسح له الطريق، ونحو ذلك.

والله عز وجل قد أمر الله باجتناب كل الأقوال السيئة والباطلة قال تعالى: ﴿وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ ۝٣٠﴾ الحج: ٣٠، قال السيوطي: " عام في كل باطل"(٢).

ومن الجانب الآخر على من يواجه أحدا من هؤلاء ألا يبادله هذا الأسلوب البذيء بل يكون من عباد الرحمن الذي مدحهم الله بقوله: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا﴾ الفرقان: ٦٣، فيجبيهم بالمعروف من القول والسداد من الخطاب(٣).

الأدب التاسع: أداء الأمانات إلى أهلها:

قد تكون السيارة التي يقودها السائق ليست ملكا له، وهذا كثير واقع، سواء أكانت مملوكة لدولةٍ أو شركات أو أشخاص، فيجب على قائدها أن يؤدي الأمانة فيها، وأن يستعملها كما يستعمل سيارته سواء بسواء، ويحب للناس ما يحب لنفسه، وإذا كانت مملوكة للدولة فهي ملك لبيت المال، لا يحق للسائق أن يهملها وأن يستخدمها استخداما سيئا أو عنيفا بلا مبالاة.

ومن ذلك السيارات المستأجرة من شركات التأجير فعلى قائدها أن يتعامل معها ويستخدمها الاستخدام المعقول بلا تعد ولا تفريط، وألا يخفي شيئا من عيوب حصلت تحت يده أو حادث وقع له، وأن يخبر الشركة بما حصل، قال الله تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ النساء: ٥٨.

---

(١) "الإكليل في استنباط التنزيل" للسيوطي ٤٩١/٢

(٢) "الإكليل في استنباط التنزيل" للسيوطي ٩٧٧/٣

(٣) ابن جرير في تفسيره ٢٩٥/١٩، وانظر ظلال القرآن ٣٣٠/٥

ويجمع جميع هذه الآداب هذه الآية الجامعة : ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ الزلزلة: ٧ – ٨، قال ابن عاشور" هذه الآية معدودة من جوامع الكلم"(١).

وقال تعالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾ البقرة: ١٩٧، ﴿وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ۝٢١٥﴾ البقرة: ٢١٥، وقال: ﴿وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٧٧﴾ الحج: ٧٧

وهذه الآيات وأمثالها قواعد عامة في أن الله أمر بفعل الخير وأنه يثيب عليه، ونهى عن الشر وعاقب عليه، ويدخل فيها جميع ما سبق، والله أعلم.

(١) "التحرير والتنوير" ٣٠/٤٩٥

المطلب الثالث: اجتناب السلوكيات والمخالفات والأخلاق السيئة:

الأمر الأول: إيذاء الناس والتعدي عليهم أو مضايقتهم:

إن من الواجبات التي يجب على قائد السيارة العناية بها أن يتجنب جميع السلوكيات والأخلاق السيئة التي يقع فيها كثير ممن لم يتخلقوا بأخلاق القرآن الكريم ونبذوا هداياته ظهريا ولم يتأدبوا بآدابه، ورخصت عندهم حقوق الناس، ولم يفكروا إلا براحة أنفسهم ومصالحها دون النظر إلى ما يقدح في أخلاقهم بل ويوقعهم فيما نهى الله عنه، ومن ذلك تساهلهم في إيذاء الناس والتعدي عليهم بقول أو فعل، وقد قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾ الأحزاب: ٥٨

قال قتادة: "فَإِيَّاكُمْ وَأَذَى الْمُؤْمِنِ، فَإِنَّ اللَّهَ يَحُوطُهُ، وَيَغْضَبُ لَهُ"(١)، والأذى في الآية وإن كان في الأصل أذى القول كما قاله بعض المفسرين، إلا أن عموم لفظ الأذى فيها يعم كل قول وفعل، وكذلك قوله: ﴿وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾ كيفما كان الإيذاء، قال الرازي: "وَكَيْفَمَا كَانَ فَإِنَّ اللَّهَ خَصَّ الْإِيذَاءَ الْقَوْلِيَّ بِالذِّكْرِ لَمَّا بَيَّنَّا أَنَّهُ أَعَمُّ وَلِأَنَّهُ أَتَمُّ لِأَنَّهُ يَصِلُ إِلَى الْقَلْبِ"(٢)، وقال السيوطي: "ويدخل في الآية كل ما حرم للإيذاء"(٣)، وقال أبو السعود: "يفعلونَ بهم ما يتأذون به من قولٍ أو فعل وتقييده"(٤)، وقال الشوكاني: "بِوَجْهٍ مِنْ وُجُوهِ الْأَذَى مِنْ قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ"(٥)، وقال السعدي: "وهذا يشمل كل أذية، قولية أو فعلية"(٦).

فإذا كانت الآية عامة في الإيذاء فإن الإيذاء الذي قد يرتكبه قائد السيارة يشمل أمورا كثيرة، ويترتب على كثير منها مفاسد وأضرار يستحق المهمل أن يعاقب بحسب هذه المخالفات، وقد جاء في قرار مجمع الفقه الإسلامي أن " التعزير المالي لمن يخالف التعليمات المنظمة للمرور لردع من يعرض أمن الناس للخطر في الطرقات والأسواق من

(١) تفسير ابن جرير ١٨٠/١٩
(٢) "مفاتح الغيب" للرزاي ١٨٣/٢٥
(٣) "الإكليل في استنباط التنزيل" ١١١٧/٣
(٤) "إرشاد العقل السليم" لأبي السعود ١١٤/٧
(٥) "فتح القدير" للشوكاني ٣٤٨/٤
(٦) ص٦٧١

أصحاب المركبات ووسائل النقل الأخرى"[1].

والمخالفات التي يقع فيها قائدو السيارات كثيرة جدا، وينبغي لقائد السيارة أن يطلع على نظام المرور وما فيه من تعليمات وما يترتب على المخالفات من غرامات وعقوبات، وكثير من قوانين المرور تدخل في قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾ النساء: ٥٩، فهي إن لم يكن منصوصا عليها في الكتاب أو السنة أو كليهما أو لم تدخل في القواعد العامة للشرع فهي من الأمور الواجبة بأمر ولي الأمر إن لم يكن فيها مخالفة للشرع، وهذه قاعدة عامة في أوامر ولي الأمر الذي مبناه على فعل المصالح واجتناب المفاسد.

وسأذكر بعض الأفعال التي تخل بالأخلاق الحسنة والآداب الرفيعة وجاء القرآن الكريم أصول التحذير منها، ومن ذلك:

١. وقوفه أمام بوابات دخول السيارة، سواء أكانت بوابات بيوت أم شركات أم دوائر حكومية أم غيرها، فإن هذا من الاعتداء والإيذاء، فربما كانت هناك سيارة داخل المبنى ولا يمكنها الخروج، أو أراد من له الحق أن يدخل فلا يمكنه ذلك، وقد يتضرر أو يتعطل عمله، فيكون من وقف في هذا المكان معتديا مؤذيا داخلا في عموم الآية، والله أعلم.

٢. الوقوف الخاطئ على جانبي الطريق أو إغلاق الطريق، أو الوقوف خلف السيارات الواقفة ومنعها من الخروج، وهذا يحصل كثيرا أمام المحلات أو الأماكن المزدحمة بل والمساجد . والله المستعان .، وذلك الازدحام لا يخول لصاحب السيارة أي يوقف سيارته كيفما اتفق.

قال أبو حامد الغزالي: "من المنكرات المعتادة [في الشوارع] ... رَبْطُ الدَّوَابِّ عَلَى الطَّرِيقِ بِحَيْثُ يَضِيقُ الطَّرِيقُ ... [وهو] مُنْكَرٌ يَجِبُ الْمَنْعُ مِنْهُ إِلَّا بِقَدْرِ حَاجَةِ النُّزُولِ وَالرُّكُوبِ، وَهَذَا لِأَنَّ الشَّوَارِعَ مُشْتَرَكَةُ الْمَنْفَعَةِ وَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَخْتَصَّ بِهَا إِلَّا بقدر الحاجة والمرعى هو الحاجة التي ترد الشَّوَارِعُ لِأَجْلِهَا فِي الْعَادَةِ دُونَ سَائِرِ الْحَاجَاتِ"[2].

وقال الحصفكي: "الأصل أن المرور في طريق المسلمين مباح بشرط السلامة فيما

(١) قرارات وتوصيات مجمع الفقه الإسلامي، ص١٦٣.

(٢) "إحياء علوم الدين" ٢/٣٣٩

يمكن الاحتراز عنه"[1].

قلت: فإن كانت السلامة في ترك المرور أي في المنع من دخول شارع أو وقوف في مكان مثلا فهذا يمنع صاحب السيارة من السير في هذا الشارع أو الوقوف وربما يكون ضررا عليه ولكن فإن هذا الضرر لا يلتفت إليه؛ لأنه ضرر خاص مدفوع بالضرر العام، أي يتحمل الضرر الخاص لدفع ضرر عام.

وقد قال الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ﴾ المجادلة: ١١، فإذا كان هذا في المجالس فكيف بالسيارات التي قد تكون الأذية والضرر فيها أعظم.

ومن ذلك الوقوف في أماكن ذوي الاحتياجات الخاصة والتعدي عليها، فإذا خُصِّصَتْ لهم أماكن معينة فلا يجوز لغيرهم أن يقف فيها، ومن وقف فيها فهو متعد مؤذٍ.

٣. إيذاء المشاة وعابري الطرق وإرهابهم والاعتداء عليهم بقول أو فعل، وعدم إعطائهم حقهم في العبور والمشي، فإن ركوب السيارة لا يعني سلب حقوق المشاة في استخدام الطرق، بل قد يكونون أولى من الراكبين إذا كان ذلك في أماكنهم المخصصة أو أرادوا عبور الشارع بطريقة آمنة نظامية.

٤. الإخلال بترتيب السيارات إذا كان الأمر يستدعي دخول سيارة تلو أخرى، فتقف السيارات في صف خلف بعضها، وهذا من باب التنظيم، والدين كله مبني على نظام دقيق، وليس فيه فوضى ولا عشوائية، وينبغي أن تكون المعاملات كذلك، ولو تأملنا في هذه الصفوف لوجدناها خير وسيلة لوصول كل واحد إلى حقه، وهي من الخير الذي تدل عليه هذه الآية الفاذة: ﴿وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ٧٧﴾ الحج: ٧٧، ويمكن يستدل عليه بآيات عدة، منها: أن الله أثنى على صفوف الملائكة في غيرما آية كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلصَّآفُّونَ ١٦٥﴾ الصافات: ١٦٥، وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه أن يتأسوا بالملائكة حينما يصطفون لأداء الصلاة فقال: ((**أَلَا تَصُفُّونَ كَمَا تَصُفُّ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا؟**» **فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللهِ، وَكَيْفَ تَصُفُّ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا؟ قَالَ: «يُتِمُّونَ الصُّفُوفَ الْأُوَلَ وَيَتَرَاصُّونَ فِي الصَّفِّ**))[2].

---

(١) "الدر المختار شرح تنوير الأبصار" للحصفكي ص٧١٩

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه برقم (٤٣٠)، ٣٢٢/١، باب الأمر بالسكون في الصلاة، والنهي عن

وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾ ﴾ الصف: ٤.، فإن الله مدح الذين يقاتلون في سبيله بأنه صف كأنهم بنيان مرصوص، وهذا يكون في الجهاد، وفي ذلك مدح للصفوف المنتظمة، وفيه إشارة إلى أهمية الانضباط وذم الفوضى، وقد أمر الله قوم صالح بأن يكون الماء قسمة بينهم فقال: ﴿ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ ﴾ القمر: ٢٨، وقال: ﴿ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴾ الشعراء: ١٥٥، ففي الآية المنع من التعدي على حق الناقة في الشرب فيكون لهم يوم ولها يوم على الترتيب، فإذا كان هذا نظاما في الشرب بالتناوب مع حيوان، مع حرمة التعدي فيه فيؤخذ منه أهمية الانتظام والانضباط في الصفوف وأحقية المتقدم على المتأخر.

قال الشيخ محمد الغزالي: "نظام الصف في الصلوات الخمس وفى الجهاد، يفرض على المسلم، أن يتحرك بروح الجماعة كلها، وأن ينسى نفسه، وهو يتعاون مع غيره على إعلاء كلمة الله، وعلى القيام بحق الله...، والمقابل لهذا النظام المحكم هو سلوك القطيع! القطيع من الأنعام والأغنام، أو من الهمل والرعاع، الذين ينطلقون بروح الأثرة، أو لطلب الغنيمة، أو لطلب النجاة، فلا ترى في حراكهم إلا حب الحياة ولو داسوا الآخرين في الحصول عليها! ترى ما الذى يسود العالم الإسلامي اليوم، نظام الصف الذى يمليه حب الله؟ أم سلوك القطيع الذى يمليه حب الدنيا وكراهية الموت...؟ ويقول الله تعالى: ﴿ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ ﴾ البقرة: ١٩٥، عندما أحس أن ربى يحب الإحسان، وأنه كتبه على كل شيء كما حدث نبيه الكريم، فإنني أرفض الفوضى والتقصير والعجز، ولا أباشر عملا دينيا أو دنيويا، إلا تركت عليه طابع الإجادة والجمال. إن الله الذى أعبده يكره التشويه، والعبث، والدمامة. إنه أحسن كل شيء خلقه... فلأكن في هذه الحياة مثالا، لترتيب الأمور، وتنسيق الأوضاع، وإحكام العمل"[1].

٥. إزعاج الناس بالأبواق والمنبهات ذات الأصوات المرتفعة دون داعٍ ولا حاجة، فهذه المنبهات وضعت للحالات الضرورية، والواقع أن كثيرا من الناس يستخدمها بسبب أو بدون سبب، ويكثر ذلك عند الإشارات المرورية.

٦. ومن ذلك ما يصدر من بعض السيارات من صوت مزعج لوجود خلل فيها أو أن

الإشارة باليد، ورفعها عند السلام، وإتمام الصفوف الأول والتراص فيها والأمر بالاجتماع، عن جابر بن سمرة رضي الله عنه.

(١) المحاور الخمسة في القرآن الكريم" لمحمد الغزالي ص٤١

يُفعل ذلك عمدا من أجل لفت الانتباه أو التفاخر، سواء في الشوارع أو الأحياء السكنية أو القرب من المستشفيات والمكتبات والمدارس والجامعات، وهذا من التلوث السمعي، وهو دليل على قلة الوعي، ومظهر من مظاهر التخلف.

٧. إيذاء السيارات بالأنوار القوية العالية ليلا، خصوصا في الطرق غير المضاءة، وهذا من أعظم أنواع الإيذاء لما يترتب عليه من إلحاق الضرر بالسيارات الأخرى، وحجب الرؤية عنهم.

٨. ومن ذلك الاعتداء بالدخول من الطريق الفرعي إلى الطريق الرئيسي دون مراعاة السيارات القادمة، أو إعطائها حقها بالمرور، أو ما يكون عند التقاطعات حيث يوجد من يريد الانعطاف والرجوع فيدخل بسياراته على السيارات القادمة فيتسبب في توقفها في الشارع أو إرهاب قائديها أو تضييق الطريق عليهم، وهذا من الاعتداء الظاهر الذي يدخل في قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾﴾ المائدة: ٨٧.ويستفاد تحريم الاعتداء في هذا الآية من وجهين:

١. نهي الله عن الاعتداء، والنهي يفيد تحريم الفعل.

٢. وعدم محبة الله للمعتدين.

الأمر الثاني: الإلقاء بالأيدي إلى التهلكة وإتلاف المال:

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ البقرة: ١٩٥، والآية وإن كانت نزلت في ترك النفقة إلا أن القاعدة المشهورة تقول: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب[١]، واللفظ هنا عام وما سأذكره من المعاني الداخلة في عموم هذه الآية يحتملها اللفظ.

قال ابن عاشور: "ووقوع فعل ﴿تُلْقُواْ﴾ في سياق النهي يقتضي عموم كل إلقاء باليد إلى التهلكة".

ويؤخذ من ذلك أمور عديدة منها:

١. وجوب تفقد السيارة عند الحاجة إلى تفقدها وعدم التهاون في إصلاح ما يكون ترك إصلاحه سببا للخطر[٢]، وسبق أن ذلك من تمام التوكل على الله، فيجب على قائد السيارة أن يتفقد سيارته ويحرص على صيانتها، فإن في تلف بعضها

(١) روضة الناظر لابن قدامة ٣٥/٢

(٢) "حوادث السيارات" لمحمد بن صالح العثيمين، مجلة العدل، مج ١، ع ٣، رجب، ١٤٢٠هـ، ص١٧

تعريضا للأنفس والأموال للتلف، كأن يهمل صيانة المكابح أو الأذرعة أو الإطارات أو غيرها أو يزيد من حمولتها فيؤدي مع ذلك إلى إتلاف الطرق والإضرار بها، وربما الإضرار بالأنفس المعصومة، وإن من الإحسان أن يراقب ويفحص هذه الأمور قبل أن يقود سيارته، والإحسان عام يدخل فيه مثل هذه الأمور، وقد قال الله تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾ النحل: ٩٠، وقال: ﴿وَأَحۡسِنُوٓاْۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٩٥﴾ البقرة: ١٩٥.

٢. ومما يدخل في ذلك إهمال عادم السيارة بترك صيانته وهذا من إضاعة للمال بترك إصلاحه، وهو من الفساد الذي أخبر الله في كتابه أنه ﴿لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ٢٠٥﴾ البقرة: ٢٠٥، والألف واللام في الفساد للاستغراق فيعم كل فساد، وإن من أنواع الفساد في الأرض . الذي نهى الله عنه . إفساد الهواء الذي يستنشقه الناس بإهمال صيانة عادم السيارة الذي يزيد من تلوث البيئة والإضرار بصحة الناس، ومن الناس مَن يكون عنده مشاكل صحية تتضاعف مع هذا الدخان، زيادة على المنظر السيء الذي يخلفه هذا الدخان.

و"كيف يرتضي راكب السيارة لنفسه ألا يصلح من تلك الآلة التي تسهل له حياته ويصيب بعادمها الضر لنفسه ولغيره من الناس؟ لذلك فعلى المسلم ألا يأخذ الحضارة من مظهرها وشكلها بل على المجتمع المسلم أن يعمل على الأخذ بأسباب الحضارة من قواعدها الأصلية، وأن يدرس كيفية تجنب الأضرار حتى لا نقع في دائرة الأخسرين أعمالاً"(١).

٣. ومن ذلك أن يتجنب القيادة في الأحوال الجوية التي يتعذر معها رؤية الطريق والعابرين كأن يكون هناك أمطار غزيرة أو ضباب أو أتربة شديدة؛ لأن ذلك قد يكون سببا في الاصطدام بهم وإلحاق الضرر بالنفس وبالآخرين.

٤. الانشغال عن القيادة بأشياء أخرى كالالتفات أو النظر إلى الهاتف وتتبع وسائل التواصل الاجتماعي، وكثير من حوادث السيارات في هذا العصر سببها الانشغال بالهاتف.

(١) تفسير الشعراوي، لمحمد متولي الشعراوي، ٣٦٢٩/٦

٥. عدم الالتزام بخط السير، فتجد من يسلك المسار الأيسر الذي هو للتجاوز ويستأثر به، وإنما هو لتسهيل السير أو للتجاوز أو للطوارئ ولا يجوز لأحد أن يستأثر به ويمنع الناس خلف من التجاوز، ومن عدم الالتزام بخط السير ما يكون عند الدوارات من دخول سيارات دون مراعاة أحقية من هو في داخل الدوار.

٦. ومن ذلك ما يسمى بالتفحيط، فهو غالبا مرتبط بالخيلاء والفخر، زيادة على ما فيه من إتلاف للمال الذي حرمه الله، ومن فعله فهو من السفهاء الذين يجب منعهم من هذه الأفعال، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا﴾ النساء: ٥، وهو من التبذير المحرم بقول الله تعالى: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾﴾ الإسراء: ٢٦ – ٢٧

الأمر الثالث: ارتكاب المخالفات المرورية:

سبقت الإشارة إلى شيء من ذلك ولكن هناك مخالفات مرورية منتشرة ومتكررة وضررها كبير ينبغي الإشارة إليها هنا، فمن ذلك:

١. قطع إشارة المرور: الأصل في قوانين المرور وأنظمته أنها ملزمة لما فيها من المصلحة العامة، ولأمر ولي الأمر بها، وقد قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ﴾ النساء: ٥٩، ونص مجمع الفقه الإسلامي في قرار له على أن الالتزام بتلك الأنظمة من طاعة ولي الأمر بناء على المصالح المرسلة، جاء في القرار: "إن الالتزام بتلك الأنظمة التي لا تخالف أحكام الشريعة الإسلامية واجب شرعا، لأنه من طاعة ولي الأمر فيما ينظمه من إجراءات بناء على دليل المصالح المرسلة ، وينبغي أن تشتمل تلك الأنظمة على الأحكام الشرعية التي لم تطبق في هذا المجال.

ومما تقتضيه المصلحة أيضا سن الأنظمة الزاجرة بأنواعها، ومنها التعزير المالي، لمن يخالف تلك التعليمات المنظمة للمرور لردع من يعرض أمن الناس للخطر في الطرقات والأسواق من أصحاب المركبات ووسائل النقل الأخرى أخذا بأحكام الحسبة المقررة." (١).

(١) قرار رقم (٢/٧٥/د٨)، مجلة مجمع الفقه الإسلامي ٨/٨٥٣

قال ابن عثيمين: "وولاة الأمر إذا وضعوا علامات تقول للإنسان: قف وعلامات تقول للإنسان: سر، فهذه الإشارة بمنزلة القول، كأن ولي الأمر يقول: قف أو سر"(١).

٢. ترك ربط حزام الأمان، وربطه من بذل الأسباب التي أمرنا بها، ولا شك أنه سبب من أسباب حفظ الأرواح، أو تقليل أثر الإصابات، وهذا يعم السائق والراكبين، خصوصا صغار السن فإنهم أحوج إلى الحزام من البالغين.

٣. تعمد الحادث، والأصل في حوادث المرور أنها من الخطأ، لأنها آلة، ولكن قد يتعمد السائق الاعتداء بصدم سيارة أخرى أو ممتلك من الممتلكات، وهذا من الفساد في الأرض، وسبق ذكر الدليل على تحريم الفساد، وعلى ذلك فمن تعمد الاصطدام فهو مسؤول عن كل ما يترتب على هذا من إتلاف نفس أو مال – على تفصيل في ذلك محله كتب الفقه –، وتجوز المطالبة بالحق وتعريض هذا المعتدي للعقوبة، قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ النحل: ١٢٦، فمقابلة الضرر بمثله لا يجوز إلا في القصاص، ومن وقع عليه الضرر فله أن يعفو أو يأخذ العوض، فمن صدمت سيارته فليس له أن يصدم سيارة المعتدي عمدا، وأما الثأر المحض فهو يزيد دائرة الضرر بغير انتفاع، ومقابلة الإتلاف بالإتلاف ينزه عنها الشرع(٢).

٤. وهذا التفريط الإنسان قد يترتب عليه أمور عظيمة تتعلق بحياة الإنسان، وإن كانت كلها بتقدير الله، ولكن الأسباب لها تأثير بإذن الله، ومن تلك المفاسد:

أ- إخراجه من الحياة الدنيا وحرمانه من التزود بالأعمال الصالحة أو التوبة والاستعتاب.

ب- حرمان أهله وذويه وأولاده من التمتع معه في الحياة الدنيا.

ت- إرمال زوجته وإيتام أطفاله.

ث- غرامة ديته.

ج- وجوب الكفارة في حق الله(٣).

---

(١) لقاء الباب المفتوح ٣/٣٠٥

(٢) "مسؤولية سائق السيارة في ضوء الفقه الإسلامي"، عبد العزيز بن عمر الخطيب، مجلة العدل، مج ٨، ع٣١، ص١٥٧

(٣) "التحذير من أخطار السيارات" لابن عثيمين، مجلة صوت الأمة، المجلد ٤٧ ص١٠.

٥. التهرب من دفع غرامات المخالفة المرورية:

لا شك أن هذه الغرامات في الأصل تدخل إلى خزينة الدولة ثم تصرف في مصالحها، ومن المخالفات التي يرتكبها بعض قائدي السيارات أو من يشرف عليها من شركات ونحوها: التهرب من دفع الغرامات إما برشوة أو تحايل ونحو ذلك، وهذا لا شك في تحريمه، وقد قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾ البقرة: ١٨٨ وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ ﴾ النساء: ٢٩، وهذه الأفعال من أكل الأموال بالباطل.

٦. قيادة السيارة بلا رخصة: وهذه الرخصة التي تعطى للسائق هي لتحديد المؤهَّل لقيادة السيارة، وهي عقد ضمني بين السائق ومن أعطاه هذه الرخصة، يوجب عليه أن يقود سيارته بحسب العقد الضمني المتضمن لاتباع أنظمة المرور الواجب مراعاتها والسير عليها.

واستخراج الرخصة يدخل في المصالح العامة التي أمر بها ولي الأمر، والقيادة بلا رخصة فيه مخالفة لهذا النظام المبني على المصالح، وفيه تعريض للنفس للخطر ، وهذه المخالفة يقع فيها كثير من الناس خصوصا في المدن الصغيرة. ولا يجوز إعطاء الرخصة لمن لا يعرف قوانين القيادة، لأن هذه شهادة، والشهادة لا بد أن تكون شهادة صدق، فإذا خالفت الواقع فهي شهادة زور، والسيارة مال من الأموال لا يجوز دفعها إلى صغير سن أو كبير أو من لا يعرف قوانين القيادة، وقد قال الله تعالى في شرط دفع المال إلى الصبي: ﴿ وَٱبْتَلُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ ﴾ النساء: ٦، فاشترط الله رشدهم لدفع إليهم الأموال، ونهى الله عز وجل عن إعطاء السفهاء الأموال، فقال تعالى: ﴿ وَلَا تُؤْتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٥﴾ ﴾ النساء: ٥، وهذا السيارة لا شك أنها من المال، بل قد تكون من أغلى السلع أثمانا.

٧. ما يتعلق بلوحات السيارة من قيادة بدونها أو العبث بها:

ذكر بعض المعاصرين أن إصدار لوحات تحمل رقم كل مركبة على حدة واجب شرعا وجوبا[1] من حيث الوسائل، لأنه بها تحفظ حقوق الناس المتعلقة بملكية المركبة، ويتمكن

(١) المقدمة في فقه العصر ٤٩٩/١

من معرفة من ارتكب بها جريمة. ومن المخالفات في ذلك العبث بلوحات السيارة أو إخفاؤها أو إزالتها أو تزويرها أو تشويهها هروبا من التقيد بالأنظمة أو تخلصا من رصد المخالفات أيا كانت هذه المخالفة.

وكل هذه الصور وأشباهها تدخل في باب المصالح وباب طاعة ولي الأمر في غير المعصية.

ومما يتعلق بالمخالفات في اللوحات المبالغة في شراء الأرقام المميزة وبذل الأموال فيها، ولا شك أن هذا من التبذير المنهي عنه والإسراف الممقوت وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾﴾ الأنعام: ١٤١، ويدخل التباهي بها في الخيلاء المحرم والاختيال والفخر ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾﴾ الحديد: ٢٣

وهذه الأرقام ليست كأرقام الهاتف مثلا، فإن في كونها مميزة علة معتبرة شرعا، كسهولة حفظها لأهميتها كأرقام الطوارئ أو الشرطة أو أمن الطرق أو المستشفيات ونحو ذلك[1]، أما أرقام السيارات فليس فيها مثل هذه المصلحة.

الأمر الرابع: تقذير الطرقات وعدم الحفاظ على الممتلكات العامة:

لقد حث دين الإسلام على النظافة والتطهر، وجعل النظافة عبادة من العبادة، ووردت آيات وأحاديث وآثار كثيرة في فضل ذلك، ويكفي قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ البقرة: ٢٢٢، فقد أكد الله حبه للمتطهرين، الذين يحرصون على نظافة أجسادهم وأماكنهم، ويستفاد منها ذم القذارة عموما، ومنها إلقاء الأوساخ في طرق الناس، ورمي بقايا الدخان (السجائر) من السيارات على الأرض مما قد يترتب عليه إضرار بالسيارات أو حرائق، وأقل ذلك تقذير الشوارع، أو يلقي القاذورات من سيارته وهو يسير . وقد شاهدت من مثل هذا الموقف كثيرا .، بل يكون فيها أشياء حادة أو زجاج يضر الناس والسيارات، ومن الناس من إذا أراد تنظيف سيارته – كما يزعم – ألقى بالأوساخ على الطريق بأنانية وقلة ذوق وعدم مبالاة، وكيف يدعي النظافة من يخلص سيارته من الأوساخ ثم يلقيها في الشوارع وطرقات الناس فيكون الأذى متعديا ؟ والله أعلم.

(١) المقدمة في فقه العصر ١/٥٠٠

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين على أولا وآخراً على ما يسر لي كتابة هذا البحث، وأعانني فيه على جمع بعض الآيات المتعلقة به وتنزيلها على حال قيادة السيارة، وما يتبع ذلك من أوامر وآداب وأخلاق ونواهٍ ترتقي بأخلاق المسلمين وآدابهم إلى الأحسن، وفيما يلي أهم النتائج التي توصلت إليها:

١. أن القرآن الكريم فيه بيان لكل ما يحتاج إليه الناس في دنياهم وآخرتهم.
٢. أنه تطرق إلى دقائق في حياة المسلمين، دلت عليها نصوص عامة وخاصة.
٣. أن الاستنباط منه لا ينتهي وليس له حد، مع مراعاة الضوابط العلمية للاستنباط.

وأما التوصيات:

فيوصي الباحث بإبراز هدايات القرآن الكريم المتعلقة بأخلاق الناس وتعاملاتهم اليومية، وتنزيلها على واقعهم، ومعالجة الأخطاء الواقعة منهم في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، ودعوة الباحثين إلى مزيد من الدراسات التطبيقية حول آيات القرآن الكريم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كشاف المراجع والمصادر

١. الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، مؤلف الأصل: محمد بن حبان بن أحمد الدارمي، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٨هـ.
٢. أحكام القرآن، تأليف: أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي، تحقيق: محمد صادق القمحاوي – عضو لجنة مراجعة المصاحف بالأزهر الشريف، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ هـ
٣. أحكام القرآن، تأليف: محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلَّق عليه: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م.
٤. إحياء علوم الدين، تأليف: محمد بن محمد الغزالي الطوسي، دار المعرفة ، بيروت، [الطبعة :بدون]، [سنة النشر: بدون]
٥. الأخلاق، تأليف: محمد أمين، شركة نوابغ الفكر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ.
٦. الأدب المفرد، تأليف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩هـ.
٧. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، تأليف: أبي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، [الطبعة: بدون]، [سنة النشر: بدون].
٨. الإسلام والمبادئ المستوردة، عبد المنعم النمر، دار القلم، القاهرة، ١٣٨٠هـ.
٩. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، تأليف محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م
١٠. الاقتراح في أصول النحو وجدله، تأليف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق وشرح: د. محمود فجال، وسمى شرحه (الإصباح في شرح الاقتراح)، الناشر: دار القلم، دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩ – ١٩٨٩ م
١١. بحر العلوم، تأليف: نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، تحقيق: علي محمد معوض وزملائه، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.

١٢. تأملات في فلسفة الأخلاق، منصور علي رجب، القاهرة، مطبعة مخيمر، الطبعة الأولى، ١٩٥٣.
١٣. التبيان في أقسام القرآن، تأليف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت، [سنة النشر: بدون].
١٤. التحرير والتنوير، تأليف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤ هـ.
١٥. التعريفات، تأليف: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.
١٦. التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: دار با وزير للنشر والتوزيع، جدة ، الطبعة الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م
١٧. تفسير الشعراوي (الخواطر)، تأليف: محمد متولي الشعراوي، مطابع أخبار اليوم، (ليس على الكتاب الأصل – المطبوع – أي بيانات عن رقم الطبعة أو غيره، غير أن رقم الإيداع يوضح أنه نشر عام ١٩٩٧ م)
١٨. تفسير الفاتحة والبقرة، تأليف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين ، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ هـ
١٩. تفسير سورة يس، تأليف: محمد بن صالح العثيمين، دار الثريا، [البلد: بدون]، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.
٢٠. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تأليف: يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ، محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية ، المغرب، عام النشر: ١٣٨٧ هـ.
٢١. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تأليف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ ، ٢٠٠٠ م.
٢٢. التيسير في القراءات السبع، تأليف: أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني، تحقيق: فريد محمد بن عزُّوز، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٣٤هـ.
٢٣. جامع البيان في تفسير القرآن للطبري، تأليف: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، مكتب التحقيق بدار هجر، مصر، الطبعة الأولى، [سنة النشر: بدون].

٢٤. جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، تأليف عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وإبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة السابعة، ١٤٢٢هـ.
٢٥. الجامع الكبير – سنن الترمذي، تأليف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الترمذي، أبو عيسى، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي — بيروت، [الطبعة: بدون]، ١٩٩٨ م
٢٦. الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، تأليف: محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية — القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م.
٢٧. حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، تأليف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، مطبعة المدني، القاهرة، [الطبعة: بدون]، [سنة النشر: بدون].
٢٨. حضارة العرب، تأليف: غوستاف لوبون، ترجمة عادل زعيتر، نشر مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، الطبعة الأولى، [سنة النشر: بدون].
٢٩. الحضارة العربية، تأليف: جاك ريسلر، ترجمة غنيم عبدون، الدار المصرية للتأليف والترجمة، [الطبعة: بدون]، [سنة النشر: بدون].
٣٠. الخصائص، تأليف: أبي الفتح عثمان بن جني الموصلي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الرابعة، [سنة النشر: بدون].
٣١. الدر المختار شرح تنوير الأبصار وجامع البحار، تأليف: محمد بن علي بن محمد الحِصْني المعروف بعلاء الدين الحصكفي الحنفي، تحقيق: عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ– ٢٠٠٢م.
٣٢. الدر المنثور في التفسير بالماثور، تأليف: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: مركز هجر للبحوث، مصر، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.
٣٣. دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، تأليف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي، دار الكتب العلمية — بيروت، الطبعة الأولى – ١٤٠٥ هـ

٣٤. الذخائر والأعلاق في آداب النفوس ومكارم الأخلاق، تأليف: أبي الحسن سلام بن عبد الله الباهلي الإشبيلي، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ.
٣٥. الرسالة، تأليف، أبي عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي (الشافعي)، تحقيق: أحمد شاكر، مكتبه الحلبي، مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٥٨هـ-١٩٤٠م.
٣٦. روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، تأليف: موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ، مؤسسة الريّان للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ.
٣٧. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى،١٤١٥هـ.
٣٨. سنن أبي داود، تأليف: سليمان بن الأشعث بن إسحاق السِّجِسْتاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، [الطبعة: بدون]، [سنة النشر: بدون].
٣٩. شعب الإيمان، تأليف: أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.
٤٠. صحيح الأدب المفرد، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني، دار الصديق، الطبعة الرابعة، ١٤١٨.
٤١. صحيح الترغيب والترهيب، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.
٤٢. صحيح الجامع الصغير وزياداته، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني ، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
٤٣. طريق الهجرتين وباب السعادتين، تأليف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، دار السلفية، القاهرة، مصر، الطبعة الثانية، ١٣٩٤هـ
٤٤. عظمة القرآن الكريم، تأليف: محمود بن أحمد الدوسري، دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ.
٤٥. العقيدة الإسلامية تأليف: كويليام، تعريب محمد ضيا، طبع بمطبعة هندية بدرب الجنينة بمصر، الطبعة الأولى ١٣١٥هـ

٤٦. العلم، تأليف: أبي خيثمة زهير بن حرب النسائي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣ – ١٩٨٣.
٤٧. علماء وحكماء من الغرب أنصفوا الإسلام" تأليف: الحسيني الحسيني معدي، دار الكتاب العربي، دمشق، الطبعة الأولى ٢٠٠٧م.
٤٨. فتح الباري شرح صحيح البخاري، تأليف: المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة – بيروت، [الطبعة: بدون]، ١٣٧٩هـ.
٤٩. فقه العصر، تأليف الدكتور: فضل بن عبد الله مراد، دار الجيل الجديد، صنعاء، الطبعة الثانية، ١٤٣٧هـ.
٥٠. قرارات وتوصيات مجمع الفقه الإسلامي، دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ-١٩٩٨.
٥١. قواعد الأحكام في مصالح الأنام، تأليف: عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام ،راجعه وعلق عليه: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة، ١٤١٤ هـ - ١٩٩١ م
٥٢. القواعد والفوائد الأصولية ، تأليف: ابن اللحام، علي بن محمد بن عباس البعلي الدمشقي الحنبلي المعروف بابن اللحام، تحقيق: عبد الكريم الفضيلي، المكتبة العصرية، الطبعة: ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩
٥٣. الكامل المفصل في القراءات الأربعة عشر، إعداد : أ.د أحمد عيسى المعصراوي، دار الإمام الشاطبي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ.
٥٤. الكامل في اللغة والأدب، تأليف: أبي العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، من إصدارات وزارة الشؤون الإسلامية في المملكة العربية السعودية، [الطبعة: بدون]، [سنة النشر: بدون].
٥٥. ما يقال عن الإسلام، تأليف: عباس محمود العقاد، مكتبة دار العروبة، القاهرة، [الطبعة: بدون]، [سنة النشر: بدون].
٥٦. مجلة صوت الأمة، الهند، المجلد ٤٧، جمادى الأولى، ١٤٣٦هـ.
٥٧. مجلة مجمع الفقه الاسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الاسلامي بجدة، تصدر عن منظمة المؤتمر الاسلامي بجدة، [الطبعة: بدون]، [سنة النشر: بدون].

٥٨. مجمل اللغة، تأليف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثانية – ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦م.
٥٩. المحكم والمحيط الأعظم، تأليف: علي بن إسماعيل المرسي، المعروف بابن سيده، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.
٦٠. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تأليف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦م.
٦١. المدخل إلى التفسير الموضوعي، تأليف: عبد الستار فتح الله سعيد، دار التوزيع والنشر الإسلامية، بور سعيد، مصر، الطبعة الثانية، ١٤١١هـ.
٦٢. مسائل حرب بن إسماعيل الكرماني (الطهارة والصلاة)، تأليف: حرب بن إسماعيل بن خلف الكرماني، تحقيق: محمد بن عبد الله السّرَيِّع، مؤسسة الريان – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٣٤ هـ – ٢٠١٣ م
٦٣. مسند أبي يعلى، تأليف: أبي يعلى أحمد بن علي بن المثُنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث – دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٤ – ١٩٨٤
٦٤. مسند الإمام أحمد بن حنبل، تأليف: أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: المحقق: شعيب الأرناؤوط – عادل مرشد، وآخرين، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م
٦٥. مسند الإمام أحمد بن حنبل، تأليف: أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: دار الحديث – القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٥ م
٦٦. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، تأليف: أحمد بن محمد بن علي الفيومي، المكتبة العلمية – بيروتظة [الطبعة: بدون]، [سنة النشر: بدون].
٦٧. المصَنَّف، تأليف: المؤلف: أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة ، تحقيق: محمد عوامة، دار القبلة، [الطبعة: بدون]، [سنة النشر: بدون].
٦٨. المعجم الوسيط، تأليف: أعضاء مجمع اللغة العربية، القاهرة، الطبعة الخامسة، ١٤٣٢هـ

٦٩. مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، تأليف أبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي، ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٠هـ.
٧٠. مقاييس اللغة، تأليف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
٧١. المكي والمدني من السور والآيات، من أول سورة الكهف إلى آخر سورة الناس، لمحمد بن عبد العزيز الفالح، دار التدمرية، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣٣هـ.
٧٢. المنصف شرح كتاب التصريف لأبي عثمان المازني، تأليف: أبي الفتح عثمان بن جني الموصلي، دار إحياء التراث القديم، الطبعة الأولى، ١٣٧٣هـ
٧٣. الموافقات، تأليف: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.
٧٤. الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ.
٧٥. النبأ العظيم، نظرات جديدة في القرآن الكريم، تأليف: محمد بن عبد الله دراز، اعتنى به : أحمد مصطفى فضلية، دار القلم للنشر والتوزيع، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م
٧٦. الوسيط في تفسير القرآن المجيد، تأليف: أبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، تحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.